ظهور تنظيم الطالبان ودوره في القضية الأفغانية

دور حركة الطالبان في المشكلة الأفغانية

الطالبان والصعود:

تتجه أنظار المهتمين بالقضية الأفغانية منذ شهر نوفمبر عام ١٩٩٤م إلى كندهار (قندهار) في أفغانستان الجنوبية الغربية لمتابعة ما يجري فيها من التطورات السياسية والعسكرية بعد صعود حركة "الطالبان" الفتية وظهورها بقوة واندفاع هائلين في الساحة الأفغانية المضطربة، فقلبت كل الأمور، وكل المعادلات والتقديرات والموازين، ونالت كثيراً من التأييد الشعبي باعتبارها المنقذ للشعب الأفغاني نظراً لما حققته من الانتصارات الباهرة على القوى الأفغانية المتناحرة التي كانت مصداقاً لمفهوم هذه الآية الكريمة ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾.سورة الروم، الآية ٣٢.

الطالبان جمع طالب باللغة الأفغانية، وكلمة الطالبان تعني طلاب المدارس الإسلامية الأهلية، وهذا النوع من المدارس وطلابها ينتشر بكثرة في كل من أفغانستان وباكستان ومناطق الحدود ومعسكرات المهاجرين الأفغان، وهذه المدارس تعد أماكن التربية الأساسية التي تربى فيها أفراد حركة "الطالبان". والتبرعات الإسلامية هي مصادر تمويلها الأساسية. وتشكل العلوم الإسلامية المنهج التعليمي لهذه المدارس وطلابها، كعلوم التفسير والحديث والفقه الحنفي، وأصول الفقه، وعلوم اللغة العربية وآدابها، وعلوم المنطق والفلسفة والهيئة، والآداب الأفغانية. وهي ترفض أي نوع من التدخل والتطور في الفكر العلمي، والمنهج الدراسي. ويطلق لفظ "طالب" العربي على كل من يتعلم في هذه المدارس ويدرس

فيها، كما يطلق لفظ الملا على من درس في هـذه المـدارس، و لم يتمكـن مـن إتمـام الدراسة فيها، ويطلق لفظ المولـوي علـى مـن أتم الدراسـة وتخـرج في مدرسـة مـن مدارسها، كما يطلق لفظ مولانا أحياناً على المتخرج فيها بدلاً من لفـظ المولـوي. فهـذه الألفـاظ الطـالب، والمـلا، والمولـوي ومولانـا ألفـاظ عربيـة ومصطلحـات إسلامية، تتمتع بشيء كبير من التقدير والتقديس والتجليل عند الأفغان.

يردد أعضاء الحركـة بـأن السبب الحقيقـي في نشـأتها هـو رد فعـل تلقـائي للقتال والتقاتل بين أحزاب المجاهدين، بعد استيلائهم على الحكم في أعقـاب جـلاء القوات السـوفيتية عـن البـلاد، وبـدأوا -مـع الأسـف الشـديد- يقتلـون ويخربـون ويدمرون، ويخالفون التحالفات والمواثيق، وينقضـون الوعـود والعهـود، ويفقـدون المصداقية، مما أثار في نفوس أعضاء الحركة الغيرة على القيم الإسـلامية، كمـا أثـار فيهم الحمية الأفغانية، مع شعور العـداء ضـد هـذه الأحـزاب الـتي ارتبكـت هـذه الأعمال المنافية للإسلام وتعاليمه، فتكـاتفوا، وتعـاونوا في أن يعملـوا مـن جـانبهم على إنهاء الحرب السائدة في البـلاد، والدائـر فيهـا تنـاحر الأحـزاب والتنظيمـات. وكان السـبب المباشـر لطلـوع نجـم "الطالبـان" في السـاحة الأفغانيـة وفقـاً لبعـض التحليلات لما يردده أعضاء الحركـة - يعـود إلى شـهر يوليـو ١٩٩٤م عندمـا قـام شخص من الكوماندوز في كندهار بأعمـال منافيـة للإسـلام، والتقـاليد الأفغانيـة، حيث كان هذا الحادث المشين بمثابة الشرارة الأولى التي دفعـت أفـراد الجماعـة إلى البحث عن المجرم وقتله، وتعليق جسده، والمرور به في شـوارع كندهـار (قندهـار) ليكون عبرة للآخرين من المجرمين. ومن هذا التاريخ اتخذ "الطالبـان" هـذا الحـادث وسيلة لتنظيم جماعتهم في إطار قوة سياسية وعسكرية في كندهار العاصمة الروحية

للجماعة، وبدأوا العمل لتنمية مقدرتهم الحربية والقتالية لإنقاذ بقية الولايات الأفغانية وتطهيرها مما يجري فيها من أنواع الظلم والفساد والقتال.

وبظهور حركة الطالبان في أفغانستان تغيرت الأمور والأوضاع والمعطيات في الواقع الأفغاني، وخصوصاً بعد استيلائها على العاصمة كابل، ثم زحفها نحو الشمال. والواقع أن مجرد ظهور "الطالبان" كحركة قوية مقاتلة في البلاد قد ألغى جمود الموقف الهش الذي عاشته أفغانستان خلال الأعوام الخمسة السابقة على ظهورها، وقد ساعدها على التطور والحركة والاندفاع إلى قمة الأحداث الأفغانية والعالمية، حيث قدمت نفسها كنموذج مختلف تماماً لممارسات الأحزاب الجهادية في الفترة السابقة على قفزها إلى الميدان، ثم وثوبها على كابل، وطرد المجاهدين منها، ولا سيما أنها تهدف إلى تهدئة الأمور والأوضاع واستقرارها في البلاد، وليست مجرد طرف طامع إلى السلطة والنفوذ والتسلط. وبنجاحها في إبعاد قوات الحزب الإسلامي من حول كابل بعد استيلائها على الولايات الواقعة بين كندهار (قندهار) وكابل، ثم استيلائها على كابل، وطرد المجاهدين منها، والضغط على قوات دوستم الأزبكية في الشمال، قد غيرت موازين القوى في أفغانستان بطريقة ملموسة وخطيرة جعلت القوى الإقليمية والدولية تحس بخطرها، وتعمل لها ألف حساب.

الطالبان .. النشأة والإنقاذ:

كانت الأحزاب التقليدية في صراع مستميت على السلطة في كابل بعد هزيمة البلاشفة ورحيلهم المشين عن أفغانستان، وسقوط النظام الشيوعي في كابل، واستيلاء المجاهدين على السلطة في إبريل ١٩٩٢م بمساعدة بعض من بقي من

عناصر الشيوعيين في الشمال. وقد استمر هذا الصراع الدموي حتى أكتوبر ١٩٩٤م، أو قبل ذلك بقليل حيث نشأت حركة "الطالبان" وظهرت على المسرح لإنقاذ البلاد من هذه الصراعات، فقام المتصارعون بسرعة بمحاولات لإعادة روابط الثقة بينهم وبين غيرهم من جديد، لكن يبدو أن الذين دربوهم وساعدوهم ومولوهم أصبحوا يعتبرونهم أوراقاً خاسرة، فأهملوهم وتركوهم ليحاربوا بعضهم بعضاً إلى حين.

منذ سقوط النظام الشيوعي في كابل، واستيلاء هؤلاء المتصارعين من المجاهدين والشيوعيين على مقاليد الأمور في البلاد، وحتى أكتوبر ١٩٩٤م كان الوضع في أفغانستان على ما هو عليه من الاغتيال والاقتتال، ونهب الأموال، وهتك الأعراض، ودق المسامير في رؤوس الناس، وكان أبطال هذه العمليات المنافية للإنسانية حكومة المجاهدين برئاسة الشيخ رباني، والحزب الإسلامي بقيادة المهندس حكمتيار، وحزب الوحدة الشيعي بقيادة عبد العلي مزاري، والمليشيات الأزبكية بقيادة دوستم، وقد أدى كل ذلك إلى تفاقم الأمن، وانتشار الفوضى، وتفشي الفساد، واضطراب الأحوال، وانعدام الاستقرار، حتى برزت على الساحة الأفغانية قوة أفغانية جديدة كاسحة انطلقت من قندهار (كندهار) تتكون من عناصر أفغانية دينية إسلامية مخلصة في إنقاذ البلاد من فوضى الصراع والاقتتال، وإقرار الأمن والاستقرار في ربوع البلاد، وهي تدعو إلى التوادد والتعاون بين الناس والتحابي بين العباد.

الطالبان والتدريب:

ظهرت حركة "الطالبان" التي تعود جذورها إلى العناصر الأفغانية الدينية الإسلامية في إبريل ١٩٩٣م كتنظيم لإنقاذ البلاد من الفوضى السياسية، و لم تكن أمام التنظيم مشكلة في الإعداد والتدريب وتجييش عناصره، التي شارك أغلبها سابقاً في الجهاد المسلح، فقد تمكن التنظيم الجديد من إعادة التدريب تدريباً جيداً، مع ضم المئات من ضباط الجيش الأفغاني السابقين ليقوموا بعمليات التدريب وقيادة الطائرات والدبابات، وتشغيل الأسلحة الثقيلة. وبدأت نشاطها العملي الأول في ٣١ أكتوبر ١٩٩٤م حين أنقذ عدد من مقاتلي التنظيم قافلة تجارية في طريقها من باكستان إلى آسيا الوسطى من نهب المليشيات الحزبية التي تعودت على النهب وقطع الطرق، فألحقوا بالمهاجمين الهزيمة، وأوقعوا فيهم عدداً من القتلى والجرحى، وذلك بعد معركة حامية بين الطرفين، ومرت القافلة التجارية الباكستانية من الأراضي الأفغانية بسلام. وكان ذلك إعلاناً عن ولادة حركة أفغانية جديدة في البلاد، هدفها دعم الأمن والاستقرار في أفغانستان الممزقة، والقضاء على الفوضى الحزبية التي يعاني منها الشعب. وبعد هذه المعركة وسع التنظيم الجديد نشاطه في البلاد، فطهروا كندهار (قندهار) واستولوا عليها بالفعل واستطب الأمن فيها، وتعاون الناس معهم في ذلك ورحبوا بهم ترحيباً حاراً، فأصبحت القرى والمدن والولايات تنضم إليهم، وترحب بهم دون قتال أو مقاومة، فانتشار الملل والتذمر، وعمليات الابتزاز وفرض الإتاوات التي كان حكام الأحزاب وقوادها يتنافسون فيها دفعت الناس في كل الولايات للترحيب بهم، والتعاون معهم في طرد الأحزاب، ولا سيما أن أعضاء تنظيم "الطالبان" من طلبة

العلم الديني، والعلماء لهم مكانة خاصة لدى الأفغان. ولشدة تدينهم وتمسكهم بالشريعة الإسلامية واحترام الناس لهم، وتعاونهم معهم، فكان مقاتلو المليشيات الحزبية يفرون أمامهم دون قتال، بل كانوا يخلون مواقعهم الحربية قبل وصولهم إليها، مخلفين من ورائهم كميات كبيرة من الأسلحة.

وخلال الفترة من نوفمبر ١٩٩٤م وحتى مارس ١٩٩٥م، كان مقاتلو "الطالبان" قد استولوا على ولايات كندهار (قندهار) وهلمند وغزنى ولوجر ووردك وبكتيا وبكتيكا وطردوا منها مقاتلي مليشيات الأحزاب دون مقاومة، واستولوا على معظم مواقعهم وأسلحتهم وذخائرهم. وتمكن مقاتلو الطالبان من إلحاق الهزيمة بحزب الوحدة الشيعي الذي كان يدق المسامير في رؤوس المسلمين من أهل السنة وهم أحياء، وأسروا زعيم حزب الوحدة الشيعي عبد العلي مزاري، وقد مات في مناوشة مع الحراس على متن طائرة أثناء نقله إلى كندهار (قندهار).

وفي سنة ١٩٩٥م استولى مقاتلو "الطالبان" على ولاية "هرات" وطردوا منها واليها المقدم إسماعيل خان الذي كان من أنشط أنصار الشيخ رباني، رغم محاولة أحمد شاه مسعود مساعدته بالرجال والسلاح، والتعاون معه في صد هجوم الطالبان الكاسح الذي انتهى على إثره نفوذ كل من حكومة المجاهدين بقيادة الأستاذ رباني، ومن ورائها نفوذ إيران في غرب أفغانستان، وبخاصة بعد استيلاء "الطالبان" على الولايات الأربع الكبرى، وعلى رأسها هرات على الحدود الإيرانية، وأصبح الأستاذ رباني والقائد مسعود وحكومتهما محاصرة من كل جانب بعد قطع طرق الإمدادات والمساعدات التي كانت تأتي إليها من جمهوريات

آسيا الوسطى التابعة لروسيا الاتحادية، ومن الهند وإيران عن طريق هرات التي سقطت في يد تنظيم "الطالبان" الأفغاني.

التطورات التي ظهرت على الساحة الأفغانية بعد شن هجمات حركة "الطالبان" الكاسحة، وانتصاراتها الباهرة، أفرزت عما يأتي من الآثارالسياسية والعسكرية:

ضعفت حكومة الشيخ رباني، وأصبحت محصورة أو محشورة بين جدران القصور الملكية في كابل، مع مستشاره الأستاذ سياف وحليفه مسعود. كما ضعف حزب حكمتيار بحيث انكسرت شركته واختفى موقتاً. كذلك تمكن مقاتلو الطالبان من كسر شوكة حزب الوحدة الشيعي وطرده من كابل نهائياً، فارتمى في أحضان الأزبكي عبد الرشيد دوستم في مدينة مزار في الشمال، شأنه في ذلك شأن الشيخ رباني نفسه. وقد قويت بذلك شوكة القوات الأزبكية، وأصبح دوستم سيدهم بعد أن كان عدوهم. وتحولت البلاد إلى ساحة صراع شديد بين القوات التاجكية، والأزبكية، والشيعية من جهة وبين قوات "الطالبان" من جهة أخرى. كما أن روسيا، وأزبكستان، وتاجكستان، وإيران، والهند، وتركيا، قد أصبحت كلها أطرافاً في النزاع الأفغاني، تقف ضد حركة الطالبان لتمسكها بأحكام الشريعة الإسلامية ولانتماء غالبية أعضائها إلى العنصر البشتوني. أصبحت روسيا طرفاً في القضية لأسباب أمنية وسياسية، وفي فلكها تدور تاجكستان وأزبكستان العضوان في شبكة الكومنويلث الروسي، وأصبحت إيران طرفاً في المشكلة الأفغانية خوفاً على تشيعها، أما الهند فبغرض التنافس الإقليمي بينها وبين باكستان، أما

تركيا فتعصباً للأزبكي عبد الرشيد دوستم ولعلمانيتها المتعفنة، وعنصريتها المكشوفة.

الطالبان وعناصر التكوين:

تتكون حركة "الطالبان" الأفغانية، وتتألف من جماعات وأعراق وعناصر متعددة من مختلف الأقاليم والقطاعات في أفغانستان، وهذه العناصر العرقية من الأصول الأفغانية في مختلف الولايات والفئات تتلخص فيما يأتي:

١- طلاب المدارس الإسلامية الأهلية في كل من أفغانستان وباكستان، والأقاليم الحدودية، وفي معسكرات المهاجرين الأفغان المنتشرة على طول الحدود المشتركة .. وهؤلاء الطلبة الأفغان نواة حركة "الطالبان" التي تسيطر الآن على ثلاثة أرباع الأراضي الأفغانية.

٢- أعداد كبيرة من أعضاء التنظيمات الجهادية التي شاركت في الجهاد المسلح، وانضمت إلى الحركة الطلابية، بينهم عدد من القواد الميدانيين الذين يتميزون بخبرة قتالية عالية، وهم يشاركون الآن في النشاط القتالي الدائر بين الحركة وخصومها.

٣- عدد كبير من ضباط الجيش الأفغاني وأفراده، الذين خدموا في الجيش خلال فترات الحكم السابقة، وانضموا بخبرتهم العسكرية والقتالية إلى الحركة، وهم يشكلون الآن المجموعة القتالية المدربة في الحركة في ساحات القتال، وميادين الوغى.

٤- عدد كبير من جهاز المخابرات الأفغانية السابق، الذين استمروا في العمل بالجهاز أيام الحكومات السابقة قبل الجهاد وبعده. وهم يعملون الآن في خدمة الحركة في الشئون الأمنية في كابل العاصمة، وفي الولايات والأقاليم الأفغانية الأخرى.

٥- انضم إلى الحركة عدد كبير من الأفغان الذين عاشوا بعيداً عن السياسة في الفترتين السابقتين الشيوعية والجهادية، وهم يتولون الآن مسئولية الشئون الإدارية في الحركة في العاصمة كابل، وفي المقاطعات التابعة للحركة الطلابية.

٦- جذبت الحركة كثيراً من عناصر التحالفات الحزبية إلى صفوفها، والعمل معها ضد هذه التحالفات العقيمة للأحزاب، وذلك عندما شقت طريقها بثبات عند ظهور نشاطها العملي سنة ١٩٩٤م، ورفضت هذه التحالفات، وحاولت التغلب على آثارها السيئة وعلى نتائجها المدمرة.

٧- ثبت لدى العناصر الجهادية التي انضمت إلى الحركة الطلابية أن حكومة الأستاذ رباني المخلوعة وفصيله الجمعية الإسلامية تحظى بالدعم الروسي المادي والعسكري والفني، الذي يُستخدم في ضرب الشعب الأفغاني والقضاء عليه في المناطق التي تسيطر عليها الحركة، مما ساعد في انضمام عدد كبير من أعضاء هذا الفصيل إلى الحركة الطلابية.

٨- اتجهت موسكو إلى تقديم المساعدات العسكرية والمادية والفنية للرئيس المخلوع رباني، وساعدته في تطوير مطار بجرام مقر قائده مسعود حينذاك. وقد تأكدت هذه المساعدات باستيلاء الطالبان على الطائرة العسكرية الروسية، وهي

تنقل السلاح إلى الرئيس المطرود، مما أثار مشاعر الغضب ضده، ومشاعر التأييد للحركة.

وفي واقع الأمر أن تكوين الحركة الطلابية الأفغانية، أو ظهور الطالبان الأفغان كقوة سياسية وعسكرية مؤثرة لم يحدث فجأة كما يعتقد، إذ شاركت عناصر قيادية وغير قيادية منهم الجهاد الأفغاني من خلال الفصائل الجهادية، وعندما وضعت حرب الجهاد الأفغاني أوزارها، وانسحبت القوات السوفيتية المحتلة من أفغانستان، عزفت هذه العناصر عن التورط في الصراع الذي نشب بين الفصائل الجهادية على السلطة والنفوذ والتسلط، واختارت الابتعاد عن التناحر والتصارع والتقاتل من أجل النفوذ والوصول إلى السلطة، على أمل أن يتم حسم كل ذلك للمصلحة العامة، الأمر الذي لم يتحقق بسبب تعنت زعماء الأحزاب. وقد تدهورت لذلك شعبية المجاهدين، مما ساعد الحركة في السيطرة على مقاليد الأمور في البلاد، وتمكنت من تجسيد آمال الشعب الأفغاني وطموحاته في إحلال الأمن والاستقرار، وإعادة الطمأنينة والهدوء إلى العباد في البلاد، وهو الأمر الذي جذب عناصر قيادية كثيرة من التنظيمات الأخرى إلى الانضمام إليها. كما جاء نجاح الحركة في تحقيق الأمن والاستقرار في الأقاليم التي سيطرت عليها، لتضاعف ما لديها من رصيد شعبي بين رجال الأعمال، وبين أعيان القبائل وشيوخها، وبين عامة الناس.

وبالإضافة إلى كل ذلك فإن قادة الجهاد الأفغاني الذين تدافع الشعب الأفغاني وراءهم بقوة وحماس منقطع النظير، وحظوا بتأييد من قوى إقليمية ودولية في مواجهة الاحتلال العسكري السوفيتي المباشر، تحولوا في نظر الأفغان وغير

الأفغان من الشعوب الإسلامية إلى أثرياء حرب، مهمتهم الكبرى جمع الثروات، والقيام بخدمة عشائرهم وقبائلهم، ومحسوبياتهم، في مقابل إهمال المصالح العامة. والشعب الأفغاني اليوم على عكس الأمس، يقف في مواجهة هؤلاء القادة، يطالبهم بالتحرر من بطشهم، وبطش من يتبعهم من القادة الميدانيين الذين تفشى فيهم الفساد، وسوء الأخلاق. فقد أدرك الأفغان أن مسئولية تدمير أفغانستان، وقتل ٣٥ ألف أفغاني تقع على عاتق هؤلاء القادة الذين قد ظلوا في صراع بينهم على السلطة والنفوذ، وجمع الثروات. حيث كان الرئيس المخلوع رباني يمثل الأقلية التاجكية ويخدمها، ويفضلها على غيرها من الفئات، وكذلك قائده ووزير دفاعه أحمد شاه مسعود، الذي لم يكن له هم غير خدمة طائفته وبخاصة من أهل بنجشير، وكان عبد الرشيد دوستم يمثل الأقلية الأزبكية ويتفانى في خدمتها، وتفضيلها على الفئات الأخرى، وكذلك كان الزعيم الشيعي عبد العلي مزاري يمثل الأقلية الشيعية وهو يخدمها بتفان أيضاً، حتى لم يكن يعترف على شئ آخر غير التشيع الإيراني، ولا هم لكل هؤلاء غير ذلك. بينما رأى الشعب الأفغاني وشاهد أن حركة الطالبان تمثل أفغانستان والأمة الأفغانية، وقد حققت الأمن والاستقرار في البلاد دون تمييز بين الطوائف الأفغانية العديدة. وهناك أمر آخر مهم يجب الإشارة إليه في هذا الصدد، وهو أن التكوين الطلابي من أبناء المهاجرين وغيرهم، وظهوره باسم "حركة الطالبان" كان أيضاً نتيجة للتحالفات الهشة والمضحكة لتصرفات الأحزاب أو التنظيمات في شئون البلاد بعد انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان، وأن رؤساء التنظيمات الجهادية والقادة الميدانيين، والسياسيين قد أثبتوا بتصرفاتهم المتسمة بالدكتاتورية والهيمنة على أنهم ليسوا على

قدر المسئولية، وأن سيطرة النوازع الشخصية، والمحسوبيات الإقليمية والتعصبات اللغوية والطائفية قد أفقدتهم صواب الرؤية وحسن التدبير، وأنهم لم يوفروا للبلاد فرصة الحماية الكاملة لمصالحها القومية، بل بالعكس من ذلك فقد فتحوا بتصرفاتهم الباب على مصراعيه لتدخلات دول الجوار وغير الجوار في شئون البلاد، وفي مصير العباد، وذلك نتيجة لصراعهم على المصالح الشخصية، المبنية على أسس تختلط فيها الإقليمية، والعرقية، والطائفية والمذهبية، والمدعومة بمساندة قوى خارجية يكمن فيها إنزال الخطر وإلحاق الضرر بأفغانستان، وبكل الطوائف الأفغانية. وقد تغيرت نتيجة لذلك منظومة القيم الوطنية، والأفكار القومية، والسلوكيات الخلقية التي كانت تميز الشعب الأفغاني عن غيره من الشعوب والأجناس. وقد وصل الأمر بطهران في إطار التدخل في أفغانستان، أن حشدت قواتها على الحدود، واعتبرت وصول الطالبان إلى الحكم خطراً على التشيع، وعلى الطائفة الشيعية في أفغانستان، وخلقت مشكلة أسمتها "مشاكل الشيعة" في أفغانستان واتخذتها ذريعة للتدخل في الشئون الأفغانية، وعمدت إلى دعم خصوم الطالبان، وقامت بتشجيع الأستاذ رباني على تشكيل حكومة في المنفى، ولعبت دوراً عملياً في إلحاق الهزيمة بقوات الطالبان في مدينة "مزار" الأفغانية، وهي على رأس الدول التي تساعد وتحرك ما يسمى بالمعارضة، وهي التي جعلت خصوم الأمس وحولتهم فجأة إلى الأصدقاء والحلفاء في حلف (تاجكي، أوزبكي، شيعي) أو بمعنى آخر في حلف (سني، شيوعي، شيعي) في مواجهة حركة الطالبان الإسلامية السنية. وهي التي قدمت للمعارضة عشرين طائرة حربية، كما تقول

جريدة "الحياة" في عددها ١٢٦٤٦ في ١٤/١٠/١٩٩٧م لاستخدامها ضد الحركة الطلابية.

وهكذا رأينا كيف تشكلت حركة " الطالبان " في أفغانستان من جماعات وأعراق أفغانية، يعمل فيها الطالب الديني جنباً إلى جنب مع عضو سابق في أحد التنظيمات الجهادية، وهما يعملان بجدية ونشاط بجوار ضابط سابق في الجيش، وهم جميعاً يعملون مع رجال المخابرات، ورجال التحالفات الحزبية، لإنقاذ البلاد من الفوضى وسفك الدماء، دون التبعية لأحد، أو تفضيل جهة على جهة أخرى.

وقد نفى إحسان الله إحسان قائد غرب أفغانستان، وأحد أبرز قيادات الطالبان تبعية الحركة الطلابية لباكستان أو لأي قوى خارجية، ووصف ذلك بأنه أمر غير معقول، ولو نظرياً، والذين يثيرون هذه الاتهامات لا دليل عندهم وأقوالهم ليست ثابتة، بل متناقضة، والذين يتهموننا بالولاء لقوى خارجية ساءهم التفاف الشعب الأفغاني حولنا، فعادات الأفغان وتقاليدهم تقضى بقطع جذور من يرتبط بقوى خارجية، وتؤلب الشعب لمقاتلته والقضاء عليه. وقد ضم إلى الحركة أخيراً قائد شيعي من هرات، وهو ما كان يعد ضرباً من الخيال أو الوهم.

وقال إحسان الله إحسان حول النزعة القومية للحركة، فأوضح أن الحركة لا تقاتل من أجل سيطرة البشتون على البلاد، بل تقاتل لإقامة شرع الله، وتنفيذ الشريعة الإسلامية، وبدايات الحركة في كندهار أو في مناطق تقطنها قبائل بشتونية لا يعني الاقتصار على هذه المناطق وقومياتها، فللحركة أنصار ومؤيدون عاملون في بدخشان مسقط رأس الأستاذ رباني، ومعها مقاتلون من الأوزبك، وأعضاء بارزون في مجلس الشورى والقيادة من التاجك والأوزبك، وغيرهم.

الطالبان والنظام الإداري:

قيل حول الحركة، وحول قائدها، وأتباعها، ومكان قوتها، وأسباب تماسكها، وطبيعة عملها كلام كثير، لا أول له ولا آخر، لا داعي للخوض فيه، لأن خصوم الحركة معروفون باختراع الأكاذيب وتلفيق الافتراءات، وإلصاق الاتهامات، وما إلى ذلك من الخرافات والخزعبلات يقوم بتأليفها أبطال الجدل المنهزمون.

يقف على رأس الحركة زعيمها الملا محمد عمر، وهو أفغاني مثل الشيخ رباني من رجال الدين، وفي الثلاثينات من عمره، وقد جاهد الروس، وقاتلهم منخرطاً، أو عضواً من أعضاء الحزب الإسلامي بزعامة محمد يونس خالص الذي أعلن تأييده للحركة، وهو مثلهم يتبع خطاً متشدداً في تطبيق الشريعة الإسلامية طبقاً للمذهب السني الحنفي المنتشر في أفغانستان على نطاق واسع. وقيل إنه جاهد وقاتل تحت قيادة الشيخ محمد نبي محمدي.

ويساعده في تطبيق النظام وتنفيذه مجلس مؤلف من حوالي ثلاثين أو أربعين عضواً تقريباً، جميعهم من طلاب المدارس الإسلامية، أو ممن تخرجوا فيها، وأكثرهم إن لم يكن كلهم ممن شاركوا في النضال المسلح ضد الروس وأعوانهم في أفغانستان، يتم اختيارهم من أهل الكفاية والقدرة من الولايات الأفغانية المختلفة. وهناك أيضاً مجلس عسكري يضم القادة في الجبهات القتالية، وخنادق القتال المختلفة، يتكون من ٢٥ عضواً يرأسهم الملا برهان الدين الذي يبلغ من العمر أربعين عاماً، وهو الذي قاد معظم المعارك ضد حكومة الشيخ برهان الدين رباني. وكذلك من الأعضاء البارزين في هذا المجلس الملا عبد السلام ركيتي الذي يبلغ من

العمر خمسة وثلاثين عاماً، وكان قائد الاتحاد الإسلامي "عبد الرسول سياف" في ولاية زابل بالقرب من ولاية كندهار (قندهار)، والملا عبد القهار، وعمره خمسة وثلاثون عاماً أيضاً، حارب الروس في ولاية بكتيكا، ومولوي محمد سليم وعمره ثمان وثلاثون عاماً، وهو من مجاهدي كندهار (قندهار).

وبالإضافة إلى هذين المجلسين هناك مجالس محلية خاصة بكل ولاية، تتعاون مع حكام الولايات في تقديم المشورة في الشئون الإدارية والسياسية والعسكرية الخاصة بالولايات. وعدد أعضاء هذه المجالس المحلية غير محدد.

وقد شكلت الحركة بعد فتح كابل حكومة انتقالية موقتة يرأسها الملا محمد رباني، ويضم ستة أعضاء، جميعهم من العلماء الدينيين، أحدهم من ولاية بدخشان مسقط رأس الرئيس المخلوع أستاذ الشريعة الشيخ برهان الدين رباني الذي أطاح به تنظيم الطالبان، وفر هارباً من كابل إلى خارجها. وتضم الحكومة أو المجلس الانتقالي كلاً من محمد رباني رئيساً، والملا محمد غوث وزيراً للخارجية، والملا محمد فاضل وزيراً للدفاع، والملا محمد معين ترابي وزيراً للعدل، بالإضافة إلى كل من الملا محمد حسن، والملا عبد الرزاق، والناطق الرسمي الملا إحسان الله إحسان. وسيأتي تفصيل هذه المجالس تحت عنوان " الطالبان والقيادة " لاحقاً إن شاء الله.

الطالبان .. البرنامج والأهداف:

يعتبر تولي حركة "الطالبان" السلطة في أفغانستان التجربة الأولى لحكم التيار الطلابي السني الحنفي في المنطقة، مما أثار تخوف المذاهب الشيعية في إيران، وهو أحد أهم أسباب العداء الإيراني السافر لهذه الحركة الطلابية التي تتبع خطاً متشدداً في تطبيق الشريعة الإسلامية على المذهب الحنفي على الرغم من هذه العداوة التي

لا مبرر لها أصلاً. والحركة الطلابية هذه تدعو بشدة إلى تطبيق أحكام النظام الإسلامي وبخاصة أحكام العقوبات، والتحريم، والمنع أو النهي.

وقد اكتسبت الحركة الطلابية بقيادة الملا محمد عمر تأييداً كبيراً في أوساط التجار الأفغان في البلاد لأنها أزالت حواجز الضرائب التي كان يفرضها المسلحون التابعون لفصائل الأحزاب الجهادية وغيرها، كما قضت الحركة على العصابات الحزبية المسلحة التي جاءت إلى الوجود في ظل الفقدان الأمني في البلاد، ورفعت كذلك الجبايات التي كانت مفروضة على القوافل التجارية لنقل البضائع بين كل من أفغانستان وباكستان وآسيا الوسطى. وقد اتبعت الحركة أسلوباً مميزاً في اتصالاتها مع الطبقات التجارية، وفتوحاتها العسكرية، وسعت إلى توسيع إطار اتصالاتها الخارجية، ودأبت مراراً على إعلان برنامجها كقوة سياسية وعسكرية تطرح حلولاً، وتقدم لها مبررات شرعية لاتخاذ المبادرات السريعة بغرض استقرار الأمن في البلاد. والبرنامج الذي اعتمدته الحركة، وأعلنته بعد الاستيلاء على العاصمة الأفغانية كابل، والإطاحة بنظام الحكم القائم بقيادة الشيخ رباني وقائده مسعود، وبعد فرض سيطرتها على البلاد، وطرد المليشيات الحزبية، وإرغام أركان نظام الحكم السابق على الفرار إلى مزار، وتمركزهم هناك، وكذلك بعد تشكيل مجلس حكومي مؤقت لإدارة شئون البلاد، وهذا البرنامج يتلخص في الآتي:

١- سحب كل أنواع الأسلحة من مليشيات التنظيمات الحزبية السابقة، ووضعها تحت قيادة موحدة تختارها الحركة.

٢- إخراج العناصر المشبوهة التابعة للنظام الشيوعي السابق من مناصبها، والقيام بسحب ما لديها من الأسلحة والذخيرة.

٣- إعلان دستور للبلاد، ينطلق من الشريعة الإسلامية، وتطبيق أحكام شريعة الإسلام وفقاً للمذهب السني الحنفي الذي يسود في البلاد على نطاق واسع منذ قرون.

٤- إشاعة العدل والأمن في البلاد، والقضاء على الفوضى الحزبية، وما يتعرض له الشعب الأفغاني من معاناة الظلم والذل، ومن التجاوزات والاعتداءات على الحقوق والأعراض.

٥- المساواة في الحقوق والواجبات الدينية والوطنية والقومية والقضاء على المحسوبيات والعصبيات الطائفية والإقليمية التي أثارتها الأحزاب والتنظيمات السابقة الشيوعية وغيرها.

٦- الوحدة الوطنية، والقضاء على النعرات الإقليمية، ومحاربة النظرات الانفصالية والعصبية القومية، عملاً بهذا المبدأ الإسلامي ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾.

٧- التضامن الأخوي، والتعاون المخلص مع الدول الإسلامية، وتعميق الروابط الأخوية بين الشعوب الإسلامية، والقضاء على الفوارق المصطنعة بين هذه الشعوب ودولها.

٨- إقامة علاقات سياسية واقتصادية مع الدول الأخرى وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ومتطلباتها السماوية.

٩- إقامة نظام الحِسْبَة الإسلامي وإحياؤه وتطبيقه بدقة، لمراقبة الأسعار، ومراعاة الآداب الإسلامية، وإعطاء المناصب الحساسة طبقاً للكفاءات والقدرات والطاقات في إطارها الإسلامي.

١٠- القيام بإغلاق دور الفساد والانحراف الخلقي، ومنع الخمور والسفور وغيرها من المخدرات والمفسدات التي تلحق الضرر بالخلق الإسلامي القويم.

١١- الاهتمام بالجيش الأفغاني المنهار، وإعادة تأسيسه وتشكيله من جديد، وتحديثه وتسليحه بالسلاح الحديث.

١٢- إعادة بناء السدود والقنوات المائية المدمرة، والاهتمام بشئون الري والزراعة والمياه واستصلاح الأراضي المهملة.

١٣- القيام بإعادة بناء المستشفيات والمستوصفات، وبذل المساعي والجهود للاهتمام بالشئون الصحية العامة، ومقاومة الأمراض التي تنتشر في البلاد انتشاراً واسعاً.

١٤- ترويج العلوم الإسلامية في جميع المراحل التعليمية في المدارس والمعاهد والجامعات، مع الاهتمام بتدريس العلوم الحديثة على نهج سليم لا يتأثر منه الشباب بالانحراف الخلقي.

١٥- الالتزام الصارم بالحجاب الإسلامي في الحياة الاجتماعية للنساء المسلمات في جميع أنحاء أفغانستان دون استثناء، بجانب الاهتمام بحقوق المرأة التي يمنحها الإسلام وتعاليمه السماوية.

الطالبان والقيادة:

قيادة الطالبان العليا حالياً قيادة سداسية، تتمثل في الشخصيات الآتية أسماؤهم، وقد مرت الإشارة السريعة إلى ذلك في ص ٥١٧ أيضاً:

١- الملا محمد عمر، العضو في جماعة التبليغ الدينية الشهيرة، هو أمير الحركة وزعيمها، وقد ولد في قرية "نوده" في كندهار (قندهار) عام ١٩٦١م، وقد شارك في الجهاد الأفغاني ضد الروس، في صفوف الحزب الإسلامي بقيادة الشيخ محمد يونس خالص، وقيل في صفوف جماعة الشيخ محمد نبي المحمدي. ويشتهر في مسقط رأسه (كندهار) بلقب أخون أو أخوند، وهو يعني الملا أو عالم الدين.

٢- الملا محمد رباني، وهو الرجل الثاني في الحركة، وهو رجل مثقف وقور أصله كأميره من قندهار (كندهار) ومن علماء الدين المجاهدين.

٣- الملا إحسان الله إحسان، وهو مسئول عن الشئون الإدارية والتنظيمية في الولايات الخاضعة لحركة الطالبان. وهو أيضاً من رجال الدين البارزين النشطين.

٤- الملا محمد عباس، وهو الآن المتحدث الرسمي باسم الحركة، وعمدة كندهار (قندهار) العاصمة الروحية للحركة. وله نشاط واسع في الحياة السياسية والاجتماعية.

٥- الملا محمد، وهو الآن القائد العسكري، والمسئول عن الشئون العسكرية لحركة الطالبان الأفغانية الفتية. ويقوم بنشاط واسع في الشئون العسكرية في الجبهات القتالية.

٦- الملا محمد حسن، وهو المحرك الفعلي لشورى الحركة، ووالي كندهار (قندهار) في الوقت الحاضر. وهو العقل المدبر للمجالس التي تمثل أوجه النشاط التشريعي والسياسي للحركة.

حركة الطالبان والمجالس السياسة:

يتكون التنظيم المسئول عن السياسة العامة للحركة الطلابية، والذي أشرت إليه في ص ٥١٧ بعنوان "الطالبان والنظام الإداري" من المجالس التالية:

١- مجلس الشورى، يصل عد أعضائه إلى ثلاثين أو أربعين عضواً من أهل القدرة والكفاءة والخبرة، يختارهم أمير الجماعة الملا محمد عمر.

٢- مجلس قيادي آخر، وهو أوسع من المجلس الأول، ويتكون من مائتي عضو، وهو مجلس الاستشارة.

٣- مجالس الولايات، في كل ولاية من الولايات التابعة للحركة مجلس شورى يشترك في عضويته الولاة وأعيان كل ولاية، غير محدد الأعضاء.

٤- مجلس الشورى العسكري، ويضم قادة الجبهات القتالية، وهو يضم ٢٥ عضواً من ذوي الخبرات القتالية، يرأسه أحد الطالبان، ويعاونه عدد من أعضاء مجلس الشورى. وقد أدى هذا التنظيم المكون من هذه المجالس المسئولية السياسية الملقاة على عاتقه بكثير من النجاحات والانتصارات.

وقد جاء شهر سبتمبر ١٩٩٦م ليشهد انتصارات عسكرية حاسمة لقوات الحركة في أفغانستان، تمكنت على إثرها من إحكام السيطرة وبسرعة مذهلة على أكثر من ثلاثة أرباع الأراضي الأفغانية، حيث انفردت بالسلطة في أفغانستان، وشكلت حكومة جديدة برئاسة الملا محمد رباني، أسندت إليها إدارة شئون البلاد، ونصبت زعيم الحركة الملا محمد عمر أميراً للأمة الأفغانية، ثم أطلقت على البلاد اسم "إمارة أفغانستان الإسلامية" لإضفاء الصفة القانونية والشرعية على منصب

الزعامة، وترسيخ الطابع الإسلامي على توجهات البلاد السياسية. وتوجت الحركة انتصاراتها في أواخر مايو ١٩٩٧م بمد سيطرتها إلى معظم أراضي الشمال الأفغاني، وكان هذا التتويج قد دفع بكل من باكستان والمملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة إلى الاعتراف بحكومة الطالبان. و لم تمض أيام قليلة حتى انهارت الأوضاع العسكرية نتيجة للتقلبات ونقض العهود في تلك المنطقة، لتتحول الانتصارات الطلابية الكاسحة إلى الانتكاسات الخطيرة، أعادت الأوضاع العسكرية إلى ما كانت عليه قبل أواخر مايو ١٩٩٧م.

لم يكن التأرجح بين الانتصارات والانتكاسات التي توالت على حركة الطالبان نتيجة لعمليات عسكرية بقدر ما كانت نتيجة لصفقات سياسية، وتقلبات محلية، أفرزتها مداخلات خارجية، وانشقاقات محلية لبعض الفصائل الأفغانية، وما ترتب على ذلك من ارتداد في المواقف المعلنة والخفية. كما كانت نتيجة أيضاً لرفض الأوزبك والتاجك والشيعة في الشمال التجاوب مع تنفيذ برنامج الحركة السريع، الذي يقضى بنزع السلاح، وتطبيق الشريعة، نظراً لأن مناطق الشمال أكثر تحرراً من الناحية الاجتماعية لتأثرها بالإعلام الروسي، ولتسلط الشيوعية والشيعية عليها، وهو تحرر ترعاه روسيا، وترحب به أوزبكستان وتاجكستان وغيرهما حتى يظل الشمال الأفغاني منطقة علمانية عازلة، بعيدة عن الأصولية والأصوليين الإسلاميين في أفغانستان.

ولكنه يبدو كما يقول المراقبون والدبلوماسيون أن أمريكا لا ترغب في قيام حكومة مركزية قوية في أفغانستان، وهي بالعكس من ذلك ترغب في قيام نظام سياسي شبه فيدرالي في البلاد الأفغانية، ومنح الولايات والأقاليم الأفغانية

صلاحيات إدارية واسعة لإدارة شئونها الداخلية والمحلية. وهذا مطلب تطلبه موسكو، وترغب في قيامه، وبخاصة في الشمال الأفغاني الذي ظل تحت تصرف الشيوعية والشيوعيين عقوداً طويلة، ويبدو أن هذه الرغبة الأمريكية الروسية المشتركة أحد الأسباب الرئيسية في انتكاسة الطالبان عندما دخلوا مدينة مزار في الشمال الأفغاني وخرجوا منها منهزمين. وفقدوا أسراباً من مليشياتهم، ووقع مئات منهم أسرى في يد القائد الأوزبكي عبد المالك، الذي أعدمهم، وألقى بالعديد منهم أحياء في الآبار، ثم فجر داخلها القنابل اليدوية. وقد عثر على أكثر من مائة جثة في كل واحدة من الآبار التسع بالقرب من "شبرغان" شرق مزار، وكان موتهم شنيعاً حيث اقتيد الأسرى، وألقوا في الآبار أحياء، وأطلقت النار عليهم داخل الآبار، وألقيت عليهم بعد ذلك قنابل يدوية، وهؤلاء الضحايا من جنود حركة الطالبان هم الذين وقعوا أسرى خلال حملتهم على مدينة "مزار" ومعهم كذلك مجموعة من الساسة المحليين. وقد دفن ضحايا آخرون في المنطقة نفسها بالقرب من شبرغان، وكذلك في مزار، معقل المليشيات الأزبكية. وقد أوقف الضحايا في الصف وأيديهم مقيدة إلى ظهورهم، وقتلوا بالأسلحة الثقيلة، ويقول تقرير لمنظمة الأمم المتحدة إن مسئولية هذه المجازر البشعة تقع كاملة على عاتق عبد المالك الذي دبر المؤامرة، ونقض العهد مع حركة الطالبان. ومن جهة أخرى فقد قتل عشرات الأشخاص على يد الطالبان، ففي قرية من قرى "مزار" قتل ٥٣ شخصاً بينما أعدم منهم ثلاثون عجوزاً في قرية أخرى (جريدة الشرق الأوسط، العدد ٦٩٥٩، ديسمبر ١٩٩٧م).

الإطار الفكري لحركة الطالبان:

والإطار الفكري لحركة الطالبان عبارة عن المعالم الأساسية والرئيسية التي هي في الحقيقة وواقع الأمر ترسم الصورة الفكرية لهذه الحركة، وهي مستنبطة من خلال ثنايا تصريحات قادتها، ومن الخطوات التي قامت الحركة باتخاذها في هذا المجال، وهي تنطلق في مجال الفكر والمنهج والأهداف من أسس إسلامية خالصة، ويشبه منهج الحركة في الفكر منهجها في السياسة والأهداف، ونلخص فكرها فيما يأتي:

١- إقامة حكم إسلامي حقيقي كامل وواضح، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في أفغانستان على نهج الخلافة الإسلامية الرشيدة.

٢- الإسلام دين الأفغانيين حكومة وشعباً، منهجاً وعملاً، وهو أساس الحياة وشريانها المتدفق، ويجب تطبيق أحكامه في كل أنحاء الحياة في كل أنحاء أفغانستان.

٣- القيام بجدية بقلع جذور التعصبات القومية، والمحسوبيات القبلية والطائفية التي اشتدت أيام الحكم في الفترات السابقة على وصول الطالبان إلى الحكم في أفغانستان.

٤- أسلمة الاقتصاد الأفغاني، والاهتمام الجاد والفعال بالتنمية في جميع المجالات، وفي جميع الولايات الأفغانية على السواء.

٥- تكوين هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعيين أعضائها من المصلحين الصالحين في جميع أنحاء أفغانستان.

٦- الشريعة الإسلامية هي قانون الدولة الأفغانية، ودستورها الخالد، ويجب أن يعيش الشعب الأفغاني في ظل دولة دستورها شريعة الإسلام.

٧- اختيار الأشخاص الصالحين والملتزمين بأحكام الشريعة الإسلامية وتعيينهم في المناصب المهمة في الدولة.

٨- المحافظة الكاملة على حقوق الأقليات غير المسلمة (أهل الذمة) والقيام بصيانة حياتهم، وأنفسهم وأموالهم وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.

٩- توثيق العلاقات وتقويتها مع جميع الدول والشعوب والمنظمات الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

١٠- العمل على إقامة العلاقات السياسية والاقتصادية الحسنة مع جميع الدول على أساس مبدأ الاحترام المتبادل.

١١- القيام العملي العاجل بقمع الجرائم الخلقية والسلوكية، ومكافحة كل أنواع المخدرات والمفاسد.

١٢- فرض منهج إسلامي شامل لجميع المدارس والجامعات مع تدريس العلوم العصرية على نهج غير منحرف.

١٣- تركيز الاهتمام على المحاكم الشرعية لإصدار الأحكام في القضايا السياسية والاجتماعية المحلية والدولية وفقاً لأحكام الكتاب والسنة النبوية.

١٤- تعيين العلماء الصالحين الأتقياء ذوي الكفاءات العلمية والثقافية بالمحاكم الشرعية.

١٥- القيام بجمع أموال الزكـاة والعشـر والخـراج، وتوزيعهـا علـى المرافـق العامة والمستحقين.

١٦- الاهتمام بحقوق المرأة الأفغانية المسلمة، وإلزامها بالحجـاب الشـرعي، والحياة الإسلامية الكريمة.

ونتهي من ذلك إلى أن الحركة الطلابية أسيرة المبـادئ الإسـلامية، والعقليـة الثورية، يتعذر عليها الانتقال إلى المرحلة التي انتقل إليهـا المجـاهدون في تحررهـم في كثير من الأفكار الإسلامية، ذلك لأن الحركة الطلابية قد برزت على أساس العلـم الإسلامي التقليدي، ويتعذر عليها إحداث تغيير جذري في أدبياتهـا لتتمـاشى مـع متطلبات العصر، كما فعل قادة المجاهدين ذلك.

وهذه كلها أهداف تنطلق من قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية، وتأسيسـاً على هذه الأهداف ينطلق فكـر الطالبـان (الطلبـة) ومنهجهـم العملـي فيمـا يتعلـق بنظام الحكم، فمنهجها في الحكـم يقـوم أساسـاً علـى تطبيـق الشـريعة الإسـلامية، وحدودها الشرعية، وعلى أساسها أعلنت الحركة تشكيل حكومة انتقالية من سـتة أعضاء برئاسة الملا محمد رباني، ورغم بعض تحفظاتها على الانتخابـات والحزبيـة، فقد أعلنت نوعاً من المرونة، كما أكـد مجلـس شـورى الحركـة أنهـا ليسـت ضـد الحركيين، ونفى أن تكون ضـد السـلفيين. وقـد حققـت الحركـة كثـيراً مـن هـذه الأهـداف إن لم يكـن كلهـا، وبسـرعة هائلـة، ويمكـن تعليـل ذلـك بمـا يـأتي مـن الأسباب:

١- الصراعات العاصفة التي شاهدتها أفغانستان سواء داخل الأحزاب الجهادية، أو بينها وبين الأحزاب القديمة من الشيوعيين، فضلاً عن سوء ممارسات هذه الأحزاب جميعاً داخل مناطق نفوذها التي تحولت إلى ممالك مستقلة.

٢- شيوع المفاهيم الطيبة، والاعتقاد الطيب بأن "الطالبان" هم طلبة المدارس الدينية لا يهدفون إلى تحقيق مصالح خاصة أو شخصية بقدر ما يسعون لتحقيق مصالح وطنية عامة، وهي تخليص البلاد من الفوضى، وانعدام الأمن، وعدم الاستقرار، وإعادة الطمأنينة والهدوء.

٣- تأييد أكبر عدد من المشايخ وعلماء الدين الأفغان لهم، على اعتبار أن المجاهدين أفسدوا الدين والعقيدة، وانصرفوا إلى تحقيق مصالح خاصة بهم، وأقاموا علاقات مشبوهة مع الدول الأعداء، وبخاصة روسيا والهند الكافرتين المشركتين.

٤- قدم الأهالي، وحكام الولايات، والقادة الميدانيون، وأعيان البلاد دعماً كبيراً للحركة عند تقدمها نحو كابل، ويستثنى من ذلك الأقاليم التي تسيطر عليها الشيوعية والشيعة، وبخاصة في شمال أفغانستان.

٥- بداية تحوّل البلاد عن البعد القبلي والطائفي إلى بُعد أكثر اتساعاً وشمولاً، يستند إلى أساس ديني حنفي، مذهب الأغلبية المطلقة في البلاد، وقد أيد الحركة في ذلك كثير من الأقاليم المختلفة الأجناس والأعراق واللغات، وذلك بالرغم من أن غالبية الطالبان من الناطقين باللغة البشتونية.

٦- قيام الطالبان بإحلال الشرعية الفقهية النابعة من العلم الديني الشرعي، والفقه الحنفي محل شرعية الجهاد الثورية التي حكم بها المجاهدون

الأفغان، والتي تعرضت للتآكل وتفشي الفساد خلال سنوات تسلطهم على الأمور في البلاد.

٧- بداية أفول نجم نخبة الجهاد الأفغاني، التي احتلت حيزاً كبيراً بارزاً في التاريخ الأفغاني، والعالمي حيث تعرضت مصداقية الجهاد والنخبة الجهادية للاهتزاز الشديد بسبب ممارساتها الخاطئة المخالفة للإسلام، والعرف، والتقليد.

حركة الطالبان والصراعات الحزبية:

الصراع الساخن والجدل الحامي يدور الآن، ويتمحور بين نخبتين أفغانيتين اثنتين: **الأولى** النخبة الجهادية بكل أحزابها وتنظيماتها وقواتها وطوائفها وحلفائها، يضاف إليها تنظيمات طائفية ومذهبية وعنصرية أخرى من بقايا النظم السياسية المتعفنة، ومؤيديها في الخارج، ومن الشيعة وتكتلاتها المصنوعة خارج الحدود والمفروضة على البلاد، **والثانية** النخبة الطلابية المتهمة بالمساندة بل بالعمالة الخارجية أيضاً. وبالإضافة إلى هاتين النخبتين الجهادية والطلابية فقد ظهرت على الساحة الأفغانية تحالفات أخرى تربط بين الأحزاب الجهادية وبين تنظيمات أخرى مشبوهة غير إسلامية. فقد تبلورت هذه الصراعات على ضوء تطورات الأحداث الأخيرة في أفغانستان بين النخبتين إحداهما نخبة الطالبان الناشئة كحركة أصولية إسلامية متشددة، تتخذ من القبائل البشتونية وغيرها عموداً فقرياً لقواتها المسلحة، وأصبحت خلال فترة وجيزة الأكثر شعبية، والأقوى عسكرياً، والأنشط سياسياً، وليس من بين أعضائها العاملين شيوعياً ولا شيعياً. والنخبة الثانية قوى التحالف المناهض للطالبان، وهي عبارة عن خليط غير متجانس من التنظيمات الجهادية، تضاف إليها الأقليات العرقية والطائفية والمذهبية من الإخوة الأتاجكة والأزابكة،

وأهل التشيع، وعناصر أخرى من البشتون في تحالف بين الأستاذ برهان الدين رباني من بدخشان، والقائد أحمد شاه مسعود من بنجشير، وعبد الرشيد دوستم من أزابكة مزار، وكريم خليلي الذي يمثل طائفة الشيعة في هزاره، ومنصور نادري الذي يمثل طائفة الشيعة الإسماعيلية، وأطلقت على نفسها أو أطلقت عليها الدول المساندة أو الصانعة لها اسم جبهة الإنقاذ. أما المهندس حكمتيار فقد اتخذ موقفاً يتسم بالغموض والتذبذب، فقد ضاع بين ما هو قومي بشتوني وبين ما هو وطني أفغاني، فلا استطاع أن يقدم نفسه كحزب مدافع عن المصالح البشتونية، كما يفعل الأستاذ رباني الذي يدافع عن المصالح التاجكية، ولا برهن على قدرته في أن يكون حامي حمى العرقيات الأفغانية كلها، كما حاول ذلك أثناء الجهاد، لأن زخم الانقسامات العرقية أقوى منه ومن غموضه المتذبذب.

وبناء على الانقسامات المحلية والإقليمية فقد وقفت باكستان إلى جانب الملا محمد عمر البشتوني، وشرعت تاجكستان وإيران في دعم بلا حدود للتاجكة بقيادة رباني ومسعود، ووقفت أزبكستان إلى جانب ركيزتها عبد الرشيد دوستم الأزبكي، ودعمت إيران كعادتها حزب الوحدة الشيعي الموالي لطهران دعماً بلا حدود. فبدت الأكثرية العرقية في جانب، والأقليات العرقية الأخرى في جانب آخر، والأكثرية تعتنق مذهباً واحداً دينياً وسياسياً، والأقليات تنتمي إلى عديد من المذاهب الدينية، وإلى عديد من المذاهب السياسية، والعرقية، والاجتماعية. وهي تفتقر إلى أساس فكري مشترك يجمع بينها الأمر الذي يعتبر من المستحيلات ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ سورة الحشر، الآية ١٤. بينما ترى الأكثرية رؤية واحدة سياسياً ودينياً وعقائدياً.

وفي محاولة للتأثير على الوضع العام لجأت النخبة الجهادية بقيادة كل من الشيخ رباني التاجكي، والمهندس حكمتيار البشتوني، والشيخ عبد الرسول سياف البشتوني إلى تشكيل حكومة في يونيو ١٩٩٦م لمواجهة حركة الطالبان دون جدوى، حيث لم تتمكن من التأثير في معادلات القوى العسكرية. وقد ظهر عدم تأثير هذا التحالف الجديد في نجاح النخبة الطلابية في الاستيلاء على العاصمة الأفغانية كابل بعد أقل من شهرين على تشكيله، إذ دخلت النخبة الطلابية العاصمة كابل في ٢٧ سبتمبر ١٩٩٦م، وفي أعقاب هذا التطور الجديد هرب الأستاذ رباني شطر الشمال، وأخذ معه كل الودائع في البنك المركزي (دأفغانستان بانك) ونقلها معه إلى هناك، وفقاً لما يقوله ملف الأهرام الإستراتيجي تحت عنوان "دورة العنف في أفغانستان" العدد ١١، نوفمبر ١٩٩٦م. وقد جاء دخول النخبة الطلابية العاصمة الأفغانية بمثابة رد فعل عملي على تصرفات النخبة الجهادية الجديدة، والقضاء على كل أوجه التشكيك في قدراتها العسكرية، وانقساماتها الداخلية. ولتأكيد ذلك سعت النخبة الطلابية للسيطرة على كل الأقاليم في الشمال الأفغاني، وذلك في مايو عام ١٩٩٧م، بعد تدبير الأمور مع المنشقين من أسرة "بهلوان" على الشيوعي عبد الرشيد دوستم، الذين نقضوا العهد، ووجهوا الطعنة، وضربوا بها النخبة الطلابية من الخلف، فبعد دخولها إلى مدينة "مزار" بنجاح، وهروب عبد الرشيد دوستم إلى تركيا العنصرية، وجدت قوات الطالبان نفسها محاصرة، ومواجهة بثلاث جبهات من ثلاث جهات، من الشمال الشرقي تحت قيادة عبد المالك بهلوان الذي انقلب بعد العهد، ومن الشمال الوسط من الأتاجكة بقيادة مسعود التاجكي، ومن الشمال

من قبل المليشيات الشيعية المدربة في إيران بقيادة منصور نادري الإسماعيلي، أي حاصرتها الأزابكة، والأتاجكة، والشيعية، وبمساعدة قوى خارجية معروفة، الأمر الذي أدى بها إلى تحمل الهزائم، والتراجع إلى وسط البلاد بعد تكبدها خسائر فادحة، وبخاصة في الأرواح والسلاح. وكان ذلك نتيجة لمؤامرة دبرت في الخفاء بدقة، وكانت الحركة الطلابية في غفلة منها، و لم تعمل لها الحساب.

الطالبان ووسائل الدعم العسكري:

تساؤلات كثيرة وخطيرة أثارها غير واحد من المحللين السياسيين حول هذا الموضوع الخطير، ولكنه من الثابت - كما تقول التحليلات - بأنه قد توافرت للحركة قنوات عديدة حصلت منها على الدعم العسكري، وعلى المال اللازم لها لمواصلة عملها ونشاطها السياسي والعسكري معاً. شأنها في ذلك شأن التنظيمات الجهادية أثناء جهادها ونضالها ضد الروس وأعوانهم في أفغانستان. وأهم مصادر قوة الطالبان العسكرية عبارة عما يأتي:

١- المعدات العسكرية التي خلفها السوفيت وراءهم بعد انسحابهم عام ١٩٨٩م من أفغانستان، وقد آلت إلى الطالبان بعد سيطرتهم على المناطق الموجودة بها تلك المعدات العسكرية السوفيتية.

٢- المعدات العسكرية التي كانت تقدمها أمريكا لمساعدة فصائل الجهاد الأفغاني مدة الاحتلال الروسي لأفغانستان، وقد وقعت في حوزة حركة الطالبان بعد استيلائها على القواعد العسكرية لتلك الفصائل.

٣- المصدر الثالث لدعم الطالبان العسكري عبارة عن جهات متعددة كما تقول التحليلات على رأسها باكستان وأمريكا، وبعض الدول العربية، على الرغم من عدم توفر دلائل قوية تثبت الدعم العربي للطالبان. فالمرء لا يستطيع الجزم في هذا المجال. بعض المراقبين يقولون: إن الطالبان درسوا في الأقاليم الحدودية، ومعسكرات المهاجرين الدين والحرب معاً.

٤- مصدر الدعم العسكري الرابع عبارة عن الصفقات العسكرية مع تجار الأسلحة في الدول الغربية بحكم مبدأ تقديم السلاح لمن يدفع الثمن، بالإضافة إلى استيلاء الطالبان على وسائل النقل التي كانت تأتي بأسلحة من الدول الغربية للنظام الموجود آنذاك في كابل.

٥- وروسيا الاتحادية من أهم مصادر الدعم العسكري للطالبان، الذين كانوا يستولون على الطائرات وغيرها من وسائل النقل المعروفة التي كانت تأتي إلى كابل محملة بالأسلحة المتنوعة، لتقديمها إلى الحكومة الموجودة حينئذ في كابل، وكانت العلاقات بين الحكومتين الأفغانية والروسية قد عادت إلى طبيعتها العادية، وتحسنت إلى درجة أقوى وداً مما كانت عليه أيام النظام الشيوعي المزروع في كابل.

٦- عناصر طلابية كثيرة تتقن اتقاناً جيداً الفنون العسكرية بما فيها قيادة الطائرات الحربية. وأكثر الطلاب (الطالبان) إن لم يكن كلهم قد أدوا الخدمة العسكرية في العصر الملكي، وكانوا ضباط احتياط في الجيش الأفغاني.

٧- طيارون وضباط في التنظيمات الجهادية انضموا إلى الحركة بكامل عِددهم العسكرية كالضابط (باز محمد خان) الذي انضم بمروحيته إلى الحركة الطلابية، وكان من الموالين لقوات النظام الحاكم في كابل.

الطالبان ووسائل الدعم المالي:

الوسائل المالية والاقتصادية لحركة الطالبان كثيرة ومتنوعة داخلياً وخارجياً، وأهمها ما يأتي:

١- الصفقات التجارية حيث يتم استيراد مجموعة كبيرة من السلع الكهربائية وغيرها من الإمارات، تذهب إلى جلال آباد، ومنها تنقل إلى المناطق الحدودية، وتباع فيها وفي بعض المدن الباكستانية، وتشتري الحركة بأرباح هذه الصفقات التجارية السلاح وغيره من مصادر خارجية. تماماً كما كان يقوم به المسئولون السابقون في الحكومة المطرودة، وإن كان هؤلاء المسئولون المطردون يعتبرونها الآن تهريباً.

٢- مساعدة بعض القبائل الأفغانية للحركة مالياً، والقبائل في أفغانستان تعتبر مؤسسات اجتماعية وسياسية، ومن هنا فلها القدرة في توجيه الحكومات، وتحديد قواعد السلوك الاجتماعي والسياسي للدولة أو الحكومة.

٣- أموال الزكاة والعشر والخراج وفقاً لما تفرضه الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى الضرائب والرسوم المفروضة على السلع والبضائع التي تدخل البلاد عن طريق الممرات الحدودية الرسمية.

٤- مساعدات مالية يتلقاها الطالبان من عدد من التجار الأثرياء الأفغان حيث يساعدون الحركة لأسباب كثيرة منها إزالة حواجز الضرائب والإتاوات التي كان يفرضها المسلحون التابعون للفصائل الجهادية فضلاً عن القضاء على عدد من العصابات المسلحة.

٥- مساعدات مالية تتلقاها الحركة من بعض الشخصيات الإسلامية الثرية، اعتقاداً منها بأن الطالبان يعملون لتنفيذ الشريعة الإسلامية في أفغانستان، ويستحقون المساعدة.

٦- إضافة إلى ما تقدمه بعض الدول كما تقول مصادر الخصوم، من المساعدات المالية على رأسها باكستان وأمريكا وغيرهما من بعض الدول العربية الغنية.

وهكذا ومن خلال وسائل الدعم العسكري والمالي السابقة استطاعت حركة الطالبان أن تكون قوة عسكرية تحارب في جبهات قتالية مختلفة، وأن تكون قوة سياسية تفرض نفسها على المجتمع المحلي والإقليمي والدولي، وتستولي على أكثر من ثلاثة أرباع الأرض الأفغانية. وقد تمكنت الحركة من توفير قدرة تدريبية هائلة من المصدرين الأساسيين الأول من خبرة الضباط السابقين في الجيش الأفغاني، والذين يعدون اليوم من أعضاء الحركة النشيطين، وكانوا بالأمس في القوات المسلحة الأفغانية، والمصدر الثاني هو مشاركة جانب مهم وكبير منهم في الجهاد الأفغاني، الأمر الذي قد وفر لهم خبرة عملية مؤثرة. ويضاف إلى المصدرين السابقين ما يتميز به الأفغان بولعهم بالأسلحة التي يتعلمون حملها واستخدامها في وقت مبكر من حياتهم اليومية.

ولقوة حركة الطالبان العسكرية الهائلة وتقدمها السريع في الحصول على الانتصارات الباهرة يرى بعض المحللين السياسيين والمهتمين بالقضية الأفغانية أن الهزائم والانكسارات الخطيرة في أعقاب الانتصارات الكاسحة، إنما كانت نتيجة للتوافق في الرأي على مستويات عالية بين الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية لكسر شوكة الحركة وقوتها العسكرية المتنامية، وترويض توجهاتها السياسية والعسكرية والعقائدية على نحو يحد من غلوائها وكبريائها في التطرف والتشدد الديني والسياسي حتى توافق في المرحلة التالية على الائتلاف مع القوى المحلية الأخرى التي ليس لها هم غير الحصول على المناصب والاشتراك في الحكومة، بقطع النظر عن كونها إسلامية أو غير إسلامية.. وهذا هو الذي قد دفع بالأحزاب والتنظيمات والفصائل الطائفية إلى التوحد الظاهري، بعد أن كانت تتقاتل فيما بينها ليصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم في مواجهة قوة الطالبان المتنامية، وذلك بالتوجيه الإقليمي والتشجيع الخارجي في إطار اللعبة الأممية حول القضية الأفغانية. وفي إطار هذه اللعبة القذرة منيت الحركة الطلابية التي كانت قاب قوسين أدنى من تحقيق أهدافها - بسلسلة من الهزائم المتوالية في الأقاليم الشمالية من البلاد، وأجبرت على التراجع. والمتوافقون في الرأي الذي أشرت إليه آنفاً، بجانب معظم القوى الإقليمية، كل هؤلاء يفضلون قيام نظام غير إسلامي في أفغانستان على غرار حكومات الفصائل الجهادية، تمشياً واتساقاً مع مصالحها السياسية والأمنية والاقتصادية.

من هنا يجب على الطرفين الحركة الطلابية والمعارضة التوصل إلى الحل الذي يرضي كل الأطراف في الإطار الإسلامي يوائم التوجهات الإسلامية التي ينادي بها كل الأطراف الأفغانية، ويجاهر بها، بل يطالب بها كل الأفغانيين.

الطالبان وتحقيق الهدف:

أخيراً حقق الطالبان هدفهم المنشود الذي كانوا يسعون لتحقيقه وإنجازه، وسيطروا على العاصمة الأفغانية كابل في ٢٧ سبتمبر ١٩٩٦م، واستقروا فيها على كرسي الحكم، وطردوا منها الرئيس رباني، والقائد مسعود، ومستشارهما الأستاذ عبد الرسول سياف، لكي تتغير معالم كثيرة في الخريطة الأفغانية، ومنح ذلك الطالبان المزيد من القوة والنفوذ، وخصوصاً أنهم يسيطرون الآن على أكثر من ثلاثة أرباع الأرض الأفغانية، ونتيجة لذلك فقد هرب من كابل شيخ معمم من بدخشان في الشرق الأفغاني، وحل محله شيخ معمم آخر من كندهار في الجنوب الأفغاني، الأول جاء إلى السلطة من مؤسسة دينية كانت حكومية، والثاني يأتي إلى الحكم في كابل من مؤسسة دينية وهي أهلية، الأول كان من نصيبه الفشل وخيبة الأمل في كل ما نادى به من تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، وكان من نصيب الثاني التوفيق في كل ما فشل فيه الأول من تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، وإقرار الأمن والاستقرار في ربوع البلاد.

وقد منحت الانتصارات العسكرية والسياسية تنظيم الطالبان مزيداً من القوة والتسلط بعد أن باتوا يمسكون بأيديهم أغلب الأراضي الأفغانية. وهكذا أخذت الأزمة الأفغانية منعطفاً جديداً، وكاد تنظيم " الطالبان " كما يتعهد قادته في

بياناتهم الرسمية أن يتمكن من إقامة دولة العدل والرفاهية لولا التدخل الإيراني الروسي السافر حيث تجددت الحرب بين الطرفين. فالطرف المهزوم في معركة كابل ممثلاً في الأستاذ رباني ورئيس وزرائه المهندس حكمتيار، وقائده العسكري مسعود، ومستشاره الشيخ عبد الرسول سياف قد حصلوا على دعم كبير بالسلاح والرجال من الأطراف الخارجية المعروفة مما هيأ لهم فرصة الاستعداد لإطالة المعارك من الشمال الأفغاني الذي ما زال يرزخ تحت وطأة الأزبكية، والشيعية للخوض في معارك طاحنة لإطالة أمد معاناة الشعب الأفغاني.

وقد تمكن الشيخ رباني ونصيراه الشيخ سياف، والقائد مسعود من إقناع مليشيات دوستم الأزبكية في معقلهم "مزار" في الشمال بالوقوف إلى جانبه استناداً إلى أن "الطالبان" يعتبرونه ممثلاً أو أثراً من آثار الشيوعية والشيوعيين في أفغانستان، وهو فعلاً شيوعي سابق يشتهر بالمراوغة والانتهازية والتلاعب بالأفكار السياسية لعدد من الزعماء الأفغان الشيوعيين والمجاهدين على السواء، وكونوا بذلك جبهة موحدة تضم العناصر الشيوعية السابقة، والشيعية، والعناصر الحزبية الباقية على ولائها الحزبي المتمكن، وهذه الجبهة الجديدة بدأت تقلق "الطالبان" الذين اعتقدوا أن الأمور تجري لصالحهم بعد الانتصارات التي حققوها على الساحة العسكرية والقتالية. وقد جددت هذه الجبهة الأزبكية الشيعية الجهادية الحزبية فصول المشكلة القديمة الجديدة في أفغانستان التي آثارها الشيوعيون مدة نشاطهم للوصول إلى الحكم، ثم خلال حكمهم للبلاد، والتي ينطوي تحت لوائها إثارة قوميات الإقليمية العديدة الكثيرة ضد أكثرية البشتون (الأفغان) الذين يتولون الحكم في البلاد منذ القديم. والشيخ رباني وهو تاجكي قد اعتمد في حكمه للبلاد على هذه الحجة

الواهية، وتمسك بها رغم انتهاء فترة ولايته، وطلب من الأطراف الأخرى التنازل عن ذلك لإنهاء القتال الذي يخوضه نصيره وقائده مسعود ، وهو من أصل نورستاني كما قيل فرض نفسه على تاجكية بنجشير. وقد قام الشيخ رباني بطرق أبواب جيران أفغانستان التي تشترك معها في الحدود كإيران، وروسيا وأزبكستان، وتاجكستان، ومن ورائها الهند وتركيا العنصرية لطلب المساعدات المادية والمعنوية. فقامت تركيا العنصرية بتقديم المساعدات المالية إلى الشيوعي عبد الرشيد دوستم، وإرضاء له رفضت قبول طلب اللجوء السياسي لعشرة جنرالات تابعين للمليشيات الأزبكية الذين طلبوا اللجوء السياسي إلى تركيا التي أعادتهم إلى مزار كما تقول الحياة في عددها ١٢٤٨٦، ليلقوا مصيرهم على يد دوستم لكونهم من البشتون، وليسوا من الأوزبك. وقامت إيران بإغراق الشمال الأفغاني بالمال والسلاح. وتساعد في ذلك الدول التي تشاركها في العداء لأفغانستان، محاولة بائسة منها في كسر شوكة أغلبية البشتون، أو الحركة الطلابية التي يغلب عليها العنصر البشتوني.

يلاحظ أن إثارة العنصريات القومية في أفغانستان كما يقول أحمد موفق زيدان في جريدة الحياة العدد ١٢٦٥٤ في ١٩٩٧/١٠/٢٢- حصل كرد فعل على حكم الرئيس التاجكي المخلوع الأستاذ رباني وقائده ووزير دفاعه أحمد شاه مسعود، إذ ركزا خلال حكمهما على أهالي منطقتيهما في بدخشان ووادي بنجشير، وبناء على ذلك فقد مُنِحَتْ كل الامتيازات والمناصب على أساس المتقدمين من المنتمين إلى هاتين المنطقتين، الأمر الذي يعد أهم عامل في سقوط حكم رباني ومسعود. فحين أرادت شركة "بريداس" الأرجنتينية مد أنابيب الغاز من تركمنستان إلى باكستان عبر الجنوب البشتوني، رفض الرئيس الأفغاني آنذاك

توقيع الاتفاق مع الشركة، وأصر على مد الأنابيب من الشمال الأفغاني مروراً على باميان وسط أفغانستان، ثم إلى كابل فجلال آباد، الأمر الذي رفضته الشركة لأن الخط زادت مسافته من حوالي ٩٠٠ كيلو متر إلى ١٥٠٠ كيلو متر، نتيجة للتعصب القومي والإقليمي، وكراهية الرئيس للبشتون العنصر الغالب في البلاد. وقد تكرر الأمر مرة أخرى حين عقد مؤتمر دولي من أجل وصل آسيا بأوربا عبر شبكة الهاتف، وكان من المفروض أن يمر الخط الهاتفي عبر أفغانستان، فاشترط مندوب أحمد شاه مسعود التاجكي البنجشيري أن تكون المحطة الهاتفية هذه في وادي بنجشير، من دون النظر إلى الأمور الفنية، فرفضت ألمانيا هذا العرض الغريب من أساسه. وقد شكل الأستاذ رباني وقائده أحمد شاه مسعود جبهة معادية للبشتون أساسها من التاجك وعدد من العناصر البشتونية المخدوعة باسم الإسلام، وبتشجيع خارجي إقليمي. (جريدة الحياة، العدد ١٢٦٥٤، في ٢٢ أكتوبر ١٩٩٧م). وما صدر عن أنصارهما من الأفعال والأقوال والتصرفات المنحازة إلى التعصب القومي، واللغوي، والإقليمي وغيرذلك كان أدهى وأمر.

الانتصارات التي حققتها الحركة

عام ١٩٩٤م:

في ١١أكتوبر اشتبك مقاتلو الطالبان مع قائد محلي للمجاهدين في "سبين بولدك" على الحدود المشتركة، وقد أسفر الاشتباك عن عشرة قتلى وعشرين مصاباً. وفي ٤ نوفمبر سيطروا على مدينة كندهار، بعد إنقاذهم قافلة تجارية

باكستانية كانت في طريقها إلى آسيا الوسطى. وفي ٢٩ نوفمبر أصدرت السفارة الأفغانية في إسلام آباد بياناً وصفت فيه الحركة بأنها " مسعى إسلامي وإنساني ".

عام ١٩٩٥م:

سيطر مقاتلو الطالبان على ولاية غزنه، وفي ١٠ فبراير استولوا على معظم ولاية لوجر، وفي ١١ فبراير سيطروا على مدينة "بول علم" حاضرة ولاية وردك. وفي ١٤ فبراير استولوا على "جار آسياب" قاعدة الحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار. وفي ١٠ مارس حروا ضاحية "كارته سه" من الشيعة، وأسروا الزعيم الشيعي عبد العلي مزاري وقد لقى حتفه في مناوشة داخل الطائرة أثناء نقله إلى كندهار. وفي ١٩ مارس انهزموا أمام قوات الأستاذ رباني هزيمة قاسية، حيث طردتهم من قاعدة "جار آسياب" واستولت على ما كان في تصرفهم من معدات الحزب الإسلامي العسكرية. وفي ٣ أغسطس أرغمت طائرات الطالبان الحربية طائرة روسية "ايليوشن ٧٦" على الهبوط في كندهار، وهي تحمل السلاح إلى حكومة الأستاذ رباني فاستولوا على الطائرة وما فيها من المعدات الحربية، واحتجزوا أفراد طاقمها السبعة. وفي ٣ سبتمبر سيطروا على قاعدة "شين دند" الجوية غرب أفغانستان، بالقرب من الحدود الإيرانية. وفي ٥ سبتمبر استولوا على، مدينة "هرات". وفي ١١ أكتوبر تقدمت قوات الطالبان من جديد إلى مشارف كابل، واستولت على "جار آسياب" ثم "ريشخور" وتلال خير آباد.. وفي ١٤ أكتوبر اتهمت الحركة إيران بالسماح للقوات المعادية بالتسلل إلى أفغانستان. وفي ٣ إبريل عينت الحركة وعلماؤها الملا محمد عمر أميراً للمؤمنين.. وفي ١ يونيو وقعت جحجران الحاضرة الإقليمية في يد الطالبان. وفي ٢٦ يونيو

شنت الحركة هجوماً صاروخياً على كابل، قتل فيه ٥٤، وجرح ١٨٨، واتفق حكمتيار مع الرئيس رباني لممارسة مهامه رئيساً للوزراء. وفي ١٦ أغسطس تمكن الرهائن الروس السبعة الأسرى في كندهار (قندهار) من الهرب إلى أبو ظبي بطائرتهم "ايليوشن ٧٦" التي كانت محجوزة لدى الطالبان. وفي سبتمبر بدأت الحركة هجوماً واسعاً في الولايات الشرقية، فسقطت مدينة جلال آباد وولاية ننكرهار بيد الطالبان في ١١ سبتمبر، وولاية لغمان في ١٣ سبتمبر. وولاية كونر في ٢٢ ستمبر. وفي ٢٥ سبتمبر أعلنت الحركة استيلاءها على مدينة "سروبي" على بعد ٢٠ كيلومتراً من كابل شرقاً وتقدمها نحو قاعدة بكرام الجوية على بعد ٥٠ كيلومتراً من كابل شمالاً. وفي ٢٦ سبتمبر ١٩٩٦م، تعلن حكومة الأستاذ رباني انسحابها من العاصمة كابل، فتدخلها قوات الطالبان في ٢٧ سبتمبر ١٩٩٦م منتصرة بدون مقاومة تذكر. جريدة الشرق الأوسط، العدد ٦٥١٤، في ١٩٩٦/٩/٢٨م.

الحركة والتكتيك:

يتمثل أهم التكتيكا التي استخدمها الطالبان ونال بها الانتصارات الباهرة، في مسالك كثيرة، ومتنوعة أهمها مسلكان:

١- المسلك الأول تجنب القتال بقدر الإمكان، وقد سلكوا هذا المسلك في جميع عملياتهم وانتصاراتهم إلى أن وصلوا إلى أبواب كابل العاصمة، وكانوا يطلبون إلى المقاتلين من المعارضة ترك أسلحتهم، وتسليم أنفسهم إلى الطالبان، ويتمثل هذا المسلك السلمي في إرسال عالم موثوق به يحمل من معه من طلابه القرآن الكريم، والأعلام البيضاء إلى المقاتلين المعارضين للتفاوض على الاستسلام

وترك الأسلحة، حتى يتم إقناعهم بأنهم لم يأتوا إلا لإحلال السلام، وإنهاء الحرب، وإعادة الأمن والهدوء إلى البلاد، فيقتنع بهم المعارضون، ويتركون القتال. وكان هذا المسلك الطيب يظهرهم كحركة ثورية زاهدة، أعضاؤها جنود مجندة يتسمون بالمسالمة والمرونة لإنقاذ البلاد من ويلات الحرب الأهلية التي استمرت سنوات، وسببت معاناة قاسية للشعب في أفغانستان. ومن خلال هذا المسلك مع قصف ناري كثيف يسهل انسحاب المعارضين من الميدان، ومن ساحة القتال.

ومن دأب حركة الطالبان أن تعلن برنامجها كقوة سياسية وعسكرية تقوم بطرح الحلول مع المبرارت الشرعية لاتخاذ المبادرات بسحب كل أنواع الأسلحة من كل التنظيمات وتجميعها تحت قيادة موحدة تختارها الحركة، وإعلان تطبيق الشريعة الإسلامية، ودمج التنظيمات الموجودة في الساحة الأفغانية تحت قيادة واحدة، وبإشراف العلماء الأتقياء. وقد طبقته الحركة في ولايات كندهار، وزابل، وبكتيا، وبكتيكا، وننجرهار، وكونر، ولغمان. حيث طبقت فيها أحكام الشريعة الإسلامية بدقة. وقد وضعت وخصصت لها ميزانية للإنفاق على العلماء والمدارس الإسلامية والمساجد وبقية المرافق العامة.

٢- المسلك الثاني عبارة عن الدخول في تحالفات مع عدد من القوى الأفغانية لتحقيق بعض المصالح، وهذا المسلك ليس إلا لإكمال المسلك الأول. فقد ترددت الأنباء عن حدوث تقارب أو تحالف بين حركة الطالبان وقائد المليشيات الأزبكية في " مزار " بالشمال الجنرال عبد المالك بهلوان المنافس الشديد لعبد الرشيد دوستم، الذي اتهم بقتل أخيه محمد رسول بهلوان، وقد دخلت قوات الطالبان مدينة " مزار " بنجاح، ونتيجة لتقلب

عبد المالك بهلوان فقد تكبدت القوات الطلابية هزيمة على أيدي المليشيات التاجكية والأزبكية والشيعية. و لم يستمر هذا التقارب أكثر من أربعة أيام. وتتردد أيضاً أنباء عن حدوث تقارب بين الطالبان وحكمتيار لإبرام تحالف بين الطرفين إلا أنه لم يحدث حتى الآن مثل هذا التحالف.

وبعد هذا الحديث الموجز عن تكوين حركة الطالبان، وعن فكرهم السياسي، وآليات عملهم، وأهدافهم، نطرح هذه التساؤلات: هل ستنجح الحركة في تحقيق مزيد من الصعود السياسي والعسكري؟ هل ستتمكن من السيطرة على أفغانستان كاملة ؟ وهل ستنجح بعدها في إقامة حكم إسلامي في أفغانستان ؟

لا يملك الباحث الإجابة على هذه التساؤلات، فالفترة القادمة هي التي في يدها الإجابة على مثل هذه الأسئلة. ومن الممكن استنباط ما يشبه الإجابة من خلال بيان عناصر القوة ونقاط الضعف في الحركة، وذلك لمعرفة ما في الجانبين من قوة ترجيح جانب على جانب آخر:

حركة الطالبان وعوامل القوة:

١- الصورة الطيبة للطالبان:

الصورة الطيبة والجميلة التي ظهرت بها حركة الطالبان كنخبة طيبة ومختارة من الشباب المتدين والمثقف دينياً، الدارس للشريعة الإسلامية، الزاهد في الترف المادي، لايسعى إلا لتحقيق مصالح وأهداف عامة، وتهدف لوضع حد للحروب الأهلية وسفك الدماء، والتي راح ضحيتها أكثر من ٣٥ ألف شهيد، وشردت الآلاف، والقضاء على الفوضى، وعدم الاستقرار، الأمر الذي جعل الشعب

الأفغاني المتدين بطبيعته يتفاعل مع الحركة، ويراهن على قدرتها في تحقيق هذه الأهداف والمصالح العامة، وإقرار السلام، أو إعادته إلى البلاد.

٢- قوة الطالبان الهائلة:

القوة القياسية الهائلة والمدهشة التي تمكنت من أن توفر الأمن في أفغانستان التي تبحث عن الاستقرار والهدوء وراحة البال قبل تعليم المرأة، ومشاهدة التلفاز، والتردد على دور السينما، وهو أمر لم يعرفه الناس في كابل في عهد الحكومات الأفغانية السابقة الشيوعية والجهادية، حين كان القصف يحاصر الناس يومياً، وكانت حوادث السرقات والنهب وهتك الأعراض مستمرة ليلاً ونهاراً، ورئيس الدولة قابع في القصر الجمهوري، ليس في إمكانه أن يحرك ساكناً.

٣- التأييد الشعبي:

التأييد الشعبي العام الذي أبدته القبائل الأفغانية، واستقبلت به الحركة وانتصاراتها الباهرة، وهو ما يجعل الحركة تستمد الجانب الأكبر من قوتها من الولاءات الشعبية، وخاصة في الولايات التي استولت عليها وأنقذتها من معاناتها التعسفية أيام نظم الحكم السابقة.

٤- تشتت النظام:

تشتت نظام خصوم الحركة، وضعفهم، وكثرة صراعاتهم واختلافاتهم البينية وتأليف بنيتهم من العناصر السياسية المتناقضة من الشيوعية، والشيعية والعصبية القومية بين التاجكية والأزبكية والبشتونية، فبالرغم من انضواء هذه العناصر المتشتة المتفرقة في جبهة معارضة واحدة ضد الحركة الطلابية، إلا أن كل

عنصر من هذه العناصر يرغب جاداً في الحصول على المميزات السياسية والعنصرية والمذهبية والفكرية والقبلية الخاصة بالمسلك السياسي والفكري الذي ينتمي إليه ذهنياً وعنصرياً. مثال ذلك الحرب الطائفية والعنصرية التي تدور رحاها الآن بشدة بين الأزبك والشيعة في مدينة مزار، وقد تطوع حكمتيار كما قالت إذاعة لندن، المقيم في إيران بالقيام على المصالحة بين الطرفين، ووقف إطلاق النار، بينما أنا لم أنته بعد من كتابة هذه الفقرات ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ سورة الحشر، الآية ١٤.

٥- المرونة النسبية:

إن المرونة النسبية التي تتمتع بها الحركة من الأسباب التي سهلت لها الاستيلاء على كثير من الأقاليم، وذلل لها كثيراً من العقبات السياسية والعسكرية المستعصية. ويلاحظ أنها قد فقدت شيئاً كثيراً من تلك المرونة النسبية عقب انتكاساتها نتيجة لتقلبات موقف أسرة "بهلون" الأزبكية في مدينة "مزار" الشمالية.

٦- فقدان ثقة المجتمع:

فقدْ فقدَ المجتمع الأفغاني الثقة بالحكومة والقيادات العسكرية المنبثقة من حركات المقاومة الإسلامية ضد القوات السوفيتية المحتلة، وتقبل عدد كبير من المواطنين فكرة التغيير بعد سنوات من الحروب الأهلية التي دمرت البلاد، وقضت على أرواح الأبرياء، و شردت مئات الآلاف من السكان.

عناصر الضعف في حركة الطالبان:

وبالرغم من سمعة حركة الطالبان الطيبة، وما تتمتع به من القوة الهائلة، والتأييد الشعبي، والمرونة السياسية والعسكرية إلا أنها تعاني كثيراً من المشاكل التي تعد من عناصر الضعف الأساسية فيها، منها ما يأتي:

١- خطر الانقسام:

يقول بعض المحللين السياسيين من خصوم الطالبان: بأن الحركة تعاني من الانقسام الخطير الذي بدأ يظهر في الأفق بين التيارين، التيار الذي يدعو إلى عودة الملك السابق محمد ظاهر شاه لتولي زمام الحكم في البلاد، والتيار الأصولي المتشدد الذي يرفض هذا الخيار بقوة، والذي يتخذ من مدينة كندهار (قندهار) مركزاً روحياً للحركة، حيث يقول الخصوم: إن الانقسام بين التيارين قد يترسخ تدريجياً مع تطور الأحداث، وقد ينتهي - كما يتوقع خصومها - بالانقسام، وربما بالتقاتل، كما حدث ذلك بين التنظيمات الجهادية. ومن ناحية أخرى كما يقول الخصوم : بأن الملا محمد رباني رئيس المجلس الانتقالي، ومجموعته المقيمة في كابل يؤيد التفاوض مع قادة الجهاد، والملا محمد عمر زعيم الحركة ومجموعته المقيمة في كندهار (قندهار) يرفض ذلك.

وبالإضافة إلى ذلك فإن خصومها يقولون أو يدعون بأن هناك بين أعضاء الحركة صراعات داخلية أخرى غير ما ذكر، ويرجعون ذلك إلى أن القرارات العامة تتخذ في كندهار (قندهار) وتفرض على أعضاء الحكومة في كابل. وأن هناك جهات خارجية تسعى إلى إقناع الحركة بتحسين صورتها في الغرب بإبعاد شخصيات أساسية عن مصادر القرارات، كان لها دور في الانتصارات التي حازتها

الحركة. ويستدلون لذلك بتغيب كل من الملا رفيع الله مؤذن وزير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والملا محمد مير وزير التجارة عن اجتماعات الحكومة في كابل. وقد نفى الملا وكيل أحمد متوكل الناطق باسم زعيم الحركة أن تكون هناك خلافات في صفوفها أدت إلى إقصاء رئيس الحكومة الملا رباني، أو تغيب الوزيرين، وقال: إن هذه إشاعات كاذبة لا أساس لها من الصحة.

٢- البرنامج السياسي:

الحركة الطلابية التي استولت على ثلاثة أرباع الأرض الأفغانية في فترة زمنية وجيزة تعتبر قياسية، لا تملك برنامجاً سياسياً واضحاً محدداً بالنسبة للقضية الأفغانية، وكذلك لم تعلن صيغة سياسية واضحة للحكم في البلاد، سوى تصورات بسيطة حول الحكم الإسلامي يقوم على تأسيس لجنة للشورى لحكم البلاد الأفغانية ذات عديد من الأعراق والهويات واللغات والأجناس.

٣- الخبرة السياسية:

قادة الحركة لا يتمتعون بالخبرة السياسية والعسكرية بقدر كاف، ليست لهم مهارة كبيرة في التفاوض والمساومة، والخبرة الكافية في الصراعات القائمة داخلياً وخارجياً، والتعامل مع متطلبات المصالح المحلية والإقليمية والدولية التي تتشابك بشكل معقد فوق الأرض الأفغانية. وعسكرياً ليس في إمكانهم احتياح قوة مسلحة قوية إن هم أرادوا ذلك، رغم أنهم قد نجحوا في التصدي لقوات المعارضة المدربة تدريباً جيداً، فلا داعي إذاً من التخوف إيران أو غيرها من الدول الإقليمية من قوة الطالبان العسكرية.

٤- الشكليات:

يرى كثير من الأفغان ومن غير الأفغان أن الحركة قد تسرعت في الاهتمام بالشكليات والصور الظاهرية قبل اهتمامها بالمبادئ الأساسية، وإنهاء الحروب الدائرة في البلاد. فلم تكن موفقة في موقفها وقراراتها عندما شغلت الرأي العام الأفغاني والعالمي بإطلاق اللحى والذقون، وأغطية الرؤوس، والملابس الفضفاضة قبل أن تحسم الحرب أولاً، وتعيد الهدوء والاستقرار والأمن إلى البلاد. وهو أحد الأسباب التي أدت إلى الانتكاسة في مدينة "مزار" في الشمال، حيث تسرعت في تطبيق رؤيتها الخاصة للشريعة الإسلامية في منطقة معروفة بالتحرر الاجتماعي لقربها من وسائل الإعلام الروسية المسموعة والمرئية، ولتسلط الشيوعيين والشيعة عليها منذ مدة طويلة، و لم تجد فرصة التخلص من الكابوس الشيوعي والشيعي الذي جثم على صدور الناس هناك عقوداً. فكان التريث والانتظار هو السياسة المناسبة في مثل تلك الظروف التي سببت لها الهزيمة، وتحمل الخسائر الجسيمة.

٥- الازدواجية:

يرى كثير من المحللين السياسيين أن حركة الطالبان الفتية تلازمها ازدواجية في السياسة والتصرفات العملية. فهي من ناحية حركة أصولية إسلامية، تدعو إلى التمسك بالإسلام ومبادئه السماوية في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن ناحية أخرى تعتمد في التمويل - كما يقال - على الولايات المتحدة الأمريكية. ومن المعروف أن من يملك التمويل يملك التوجيه والإرشاد أيضاً. ومعنى ذلك - كما يقال - أن أمريكا هي التي توجه الحركة، وترشدها إلى ما تريده وترغب فيه من الأهداف. إلا

أن هذا الموضوع في حاجة إلى الدليل والبرهان الـذي يؤيـده أو ينفيـه مـن أساسـه. ويلاحظ أن الحكومة الأمريكية لم تعترف حتى الآن بحكومة الطالبان.

٦- السياسة الإعلامية:

السياسة الإعلامية للحركة ضعيفة، بل هي في نظري معدومـة تمامـاً، وعلـى الرغم من ضعفها فهي كغيرها من أوجـه النشـاط عنـد الحركـة تقـوم علـى تنفيـذ تعاليم الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة، ولا تحابي أحداً على حساب أحـد شأنها في ذلك شأن الطلاب أنفسهم. ووسائل الإعـلام الضعيفـة هـذه عبـارة عـن إذاعة الشريعة باللغتين البشـتونية والدريـة، تذيـع لسـاعات معـدودة، بالإضافـة إلى بعض الصحف والمجلات باللغات المحليـة والعربيـة. وهـي وسـائل إعلاميـة محـدودة وضعيفة لا تؤدي إلى تحقيـق الغـرض الإعلامـي المنشـود لمثـل هـذه الحركـة القويـة عسكرياً.

من الممكن أن تقـوم حركـة الطالبـان بشـيء مـن التنظيـم، واتخـاذ التدابـير، واتبـاع سياسـة الانفتـاح، واسـتيعاب الـدروس مـن الانتكاسـات الـتي تعـرض لهـا مقاتلوها، بتحويلها إلى عوامل قوة مؤثرة، وبخاصة أنهـا الطـرف القـوي - الآن - في معادلة القوى الحالية على الساحة الأفغانية، بالإضافة إلى أنها تحظى بقـدر كبـير من التعاطف المحلي والإقليمي والدولي، حول القبول والتسليم بوضـع معـين متميز للحركـة في مستقبل أفغانسـتان المنظـور. عليهـا أن توسـع في الأفكـار والآراء والنظريات، وأن تخرج من الأفق الضيق إلى الشمولية الواسعة في إطارها الإسـلامي ذي الأفق الواسع.

الطالبان والأخطاء:

ارتكبت حركة الطالبان الفتية كثيراً من الأخطاء السياسية والعسكرية، كان في إمكانهم أن يتفادوها لمصلحة الحركة وسمعتها الدولية بسهولة، منها ما يأتي:

١ – إعدام الرئيس نجيب الله:

إن صح القول الذي يقول بأن مليشيات الطالبان هي التي قامت بشنق الرئيس الراحل نجيب الله، وشقيقه شاهبور، فإن هذا الإقدام من مليشيات الحركة من الأخطاء السياسية الخطيرة المتسرعة، وبخاصة كان الرجل في حماية الأمم المتحدة وفي مكتبها في كابل. إلا أن في الأمر أقوال أخرى غير ما ذكر، ولعل تلك الأقوال الأخرى أقرب إلى الحقيقة. والله أعلم.

كان نجيب الله قد تنازل عن السلطة تلبية لرغبة الأمم المتحدة بغرض إنهاء الحرب الأهلية في أفغانستان، والتجأ إلى مقر الأمم في كابل منذ سقوط حكمه في إبريل ١٩٩٢م. وعاش فيه حتى دخول الطالبان إلى كابل. وقد أعدم يوم الجمعة ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٩٦م، هو وشقيقه شاهبور أحمدزي الذى كان في زيارته في تلك الساعات المصيرية الحاسمة.

وكان الرئيس المقتول قد حاول في شهر ديسمبر ١٩٩٣م، الهرب من كابل إلى خارج البلاد بمساعدة الأمم المتحدة، إلا أنه قد فشل في ذلك. وقبض عليه حراس أحمد شاه مسعود وأعادوه إلى مكتب الأمم في كابل. وقد رفضت حكومة الأستاذ رباني المخلوعة طلبات الأمم المتحدة المتكررة للإفراج عنه، والسماح له

بمغادرة البلاد بحجة أنه يعاني من المرض. وقال الرئيس رباني في الرد على هذه الطلبات: "ليس من شأن الأمم المتحدة أن تتدخل في هذا الأمر".

وقد طلب عدد من شيوخ القبائل وزعمائها في كل من بكتيا وبكتيكا وغزنى وغيرها من الرئيس المطرود الأستاذ رباني الإفراج عنه إلا أنه رفض ذلك. وفي سنة ١٩٩٤م التقت زوجته بأمين عام الأمم المتحدة بطرس غالي في نيودهلي أثناء زيارته للهند، وناشدته التدخل للإفراج عن زوجها دون جدوى. وقد فشلت المنظمة الدولية في تأمين حياة شخص لجأ إلى مكتبها، وكان في حمايتها، بل وقد تنازل عن السلطة بطلب منها.

وتقيم زوجته وأولاده في الهند، وتقيم والدته في بشاور. وقد مات والده أختر محمد خان أيام الثعلب الماكر ببرك كارمل الذي مات أخيراً في منفاه عند أسياده في موسكو، ودفن في "مزار" في الشمال الأفغاني.

وعندما أعدم الرئيس الراحل نجيب الله، وأخوه شاهبور صدر بيان باسم الحركة جاء فيه أن حكم الإعدام قد نفذ في نجيب الله كعقوبة مستقاة من مبدأ "حق العباد" وقال بعضهم " لقد قتلناه لأنه قتل هذا البلد". ولكن من المعروف دولياً أن دخول الطالبان إلى مبنى المنظمة الدولية -إن صح- خرق صارخ للقوانين والأعراف الدولية، بالإضافة إلى خرق التقاليد الأفغانية، وإهانة للمنظمة ومكتبها الرسمي في كابل.

٢- تعليم المرأة:

الحركة قد تسرعت في إقدامها على إغلاق مدارس البنات - إن صح - وإبعاد النساء عن العمل، وعدم السماح لهن بمواصلة الدراسة، والخروج دون

ارتداء البرقع، أي حرمت الحركة على النساء العمل، والدراسة، والخروج من البيوت. وكان يجب عليها أولاً إنهاء الحرب الأهلية، والقضاء على آثارها المدمرة، وحماية حياة الناس، وإعداد فرص العمل وهذه الأمور أهم من الاهتمام بشئون المرأة ومنعها عن العمل والتعليم ومواصلة الدراسة. حيث يمكن تدارك الشئون الخاصة بالمرأة الأفغانية وتنفيذها في المرحلة اللاحقة بعد استقرار الأمور في البلاد.

٣- الاهتمام بالمظاهر:

التسرع في الاهتمام بالشكليات والصور -كما يقولون- قبل الاهتمام بالمبادئ والأسس، كإطلاق اللحى والذقون وإعفائها، وقص الشوارب أو حلقها، ولبس العمائم أو الأغطية والطواقي، ومنع النساء من الخروج إلى العمل أو السوق، ومنع الفتيات من الدراسة، وإغلاق مدارس البنات إن صح هذا القول.

٤- إغلاق دور السينما والتلفاز:

إغلاق دور السينما والمسارح والتلفاز خطأ من أخطائها. علماً بأن الدور السينمائية والتليفزيونية كالسلاح ذي الحدين، يمكن استخدامها فيما يفيد الأمة، كما يمكن استعمالها فيما يضرها. فكان من الممكن للحركة أن تستغلها فيما ينفع الأمة بدلاً من الإغلاق والإتلاف، وإحراق الأفلام.

٥- التعصب الشديد:

التعصب الشديد إلى درجة التنفير منذ الأيام الأولى لتسلمها السلطة في البلاد، وكان ينبغي لها السير بالتأني على طريق التدرج المرحلي فيما تصبو إليه من

تطبيق أفكارها الدينية والسياسية، وتنفيذ ما تريد تنفيـذه دون التسـرع أو التعجيـل ودون استعمال العصا لمن عصا.

٦- نزع السلاح:

التسرع الشديد في نزع السلاح من المقاتلين، وبخاصة في الشـمال، وتجـاهل الطبيعـة الاجتماعيـة والسياسـية الشـمالية المتناقضـة مـع الجنـوب، حيـث الشـمال الأفغاني أكثر تحرراً لوقوعه تحـت تأثير الإعـلام الروسـي وغـيره خارجيـاً، وتحـت التأثير الشيوعي المتحرر داخلياً.

٧- المخابرات الروسية:

تناست الحركة أن يد الاستخبارات الروسية ما زالت طويلـة في البـلاد، ولا يمكن الوثوق بتغير عبد المالك، وهروب دوستم، وسقوط مزار، لأن كـل ذلـك لا يعدو كونه جزءاً من مؤامرة روسية بالموافقـة الأمريكيـة، تسـتهدف تغيـير الوجـوه لقطع الطريق على تنظيم الطالبان، وبخاصة أن موسـكو برعـت في هـذه السياسـة، حيث استبدلت ترهكي بأمين، ثم بـبرك، ثـم بنجيـب الله الـذي مـات شـنقاً دون معرفة القاتل الحقيقي.

٨- المخابرات الأوزبكية:

تجاهلت الحركـة وهـي في نشـوة مـن انتصاراتهـا المخـابرات الأزبكيـة الـتي فقدت ركيزتها بل حليفها وعميلها القومي عبد الرشيد دوستم، الـذي لحقـت بـه الهزيمة، وغادر "مزار" بالموافقة الأوزبكية لاجئاً إلى الأتـراك الذيـن لا يؤمنـون مثلـه بالإسـلام ومبادئـه، وأوزبكسـتان تخشـى الآن مـن تسـرب الأفكـار الإسـلامية إلى

صفوف الشباب فيها وتمكنها من نفوسهم. وليس من المستبعد أن تكون أوزبكستان أحد الأعضاء المهمين في المؤامرة التي دبرت بواسطة المخابرات الروسية لإلحاق الهزيمة بالطالبان الذين دخلوا مزار، وطردوا منها حليفها الأزبكي دوستم.

٩- القلق التاجكي:

وفي الوقت نفسه نسى تنظيم الطالبان القلق الشديد الذي انتقل إلى تاجكستان المجاورة بانتقال أحمد شاه مسعود إليها. حيث قال الرئيس التاجكي إمام علي رحمانوف إن الحلقة من الحرب في أفغانستان من شأنها تغيير العلاقات بين دوشنبه وكابل. وقد التقى رحمانوف جنرالات الروس، وطلب منهم تعزيز الإجراءات العسكرية على الحدود بين أفغانستان وتاجكستان، إذ تكفيه معارك داخلية، فكيف بهذا الخطر القادم من خلف الحدود الأفغانية التاجكية. ويقوم حرس الحدود الروسي بدوريات على امتداد حدود تاجكستان مع أفغانستان. وقال أندريه نيكولايف قائد حرس الحدود الروسي: إننا نتابع التطورات الأخيرة في أفغانستان عن كثب، وأضاف أنه سيتم عمل يضمن الأمن المشترك في المنطقة. هذه التصريحات في ثوبها التاجكي والروسي تتضمن نوايا عدوانية واضحة ولكن الحركة الطلابية كانت في غفلة عنها، و لم تتخذ التدابير اللازمة لتداركها في وقتها.

١٠- التشيع الانتهازي:

كذلك أهل التشيع الأفغان الذين تجمعوا في مزار أيام الجهاد، وتمركزوا فيها، مستغلين تساهل دوستم في إجراءات استطيانهم في مزار، حيث لم تتخذ الحركة التدابير اللازمة للوقوف في وجه هؤلاء الانتهازيين الذين يعتبرون الطوائف السنية أعداءهم التقليديين، وقد قدمت لهم إيران المعونات المالية والعسكرية،

وأغرقت بها الشمال الأفغاني كله. وخطر المخابرات الإيرانية ما زال قائماً كالمخابرات السوفيتية والأوزبكية والتاجكية.

١١- التوازن القومي:

من الأخطاء التي ارتكبتها الحركة فقدان التوازن القومي والإقليمي في المجلس الانتقالي وفي غيره من المؤسسات الحكومية، فالحركة تكرر في هذا الشأن ما كان يرتكبه الرئيس المخلوع الأستاذ رباني وقائده مسعود من التركيز والاهتمام على أهالي المنطقتين اللتين ينتميان إليهما إقليمياً وقومياً ولغوياً، فيخصصان كل الامتيازات والمناصب لمن ينتمي إلى بدخشان وبنجشير، ثم لمن ينتمي قومياً إلى التاجك وغيرهم من الناطقين باللغة الفارسية، فكانا يفضلان الطائفة التاجكية على غيرها من القبائل الأفغانية، والحركة الطلابية الآن لا تختلف عنهما في هذا الشأن.

١٢- التلاعب بالأسماء:

اتبعت الحركة في التلاعب بأسماء أفغانستان السياسة التي اتبعتها حكومة المجاهدين، فقد أهانها المجاهدون فأسموها دولة أفغانستان على غرار دولة الكويت، وازدادت الحركة في الإهانة والتصغير، فأطلقت عليها إمارة أفغانستان على غرار إمارة قطر. وعليك أن تقارن بين أفغانستان والكويت وقطر! والحركة لم تكتف بذلك بل أهملت السنة المتداولة في أفغانستان، وهي السنة الهجرية الشمسية. مسكينة أفغانستان وأهلها! حماها الله من هذا التلاعب السابق، واللاحق، والقادم.

وقد أكد الملا أمير خان متقي وزير الإعلام والثقافة في حكومة الطالبان أن الاتهامات الموجهة إلى الطالبان في كل ذلك ليست عادلة، وتأتي من أشخاص لا يملكون المعلومات الكافية. إن المرأة الأفغانية لم تمنع عن العمل

ومواصلة الدراسة والتعليم، وإنما أوقفت حتى يتم تنظيم الوضع المناسب للمرأة الأفغانية الموظفة، والطالبة. و لم توقف حكومة الحركة مرتبات هؤلاء الموظفات، وتصل إليهن في بيوتهن. ولا صحة لما قيل عن قرار منع تعليم البنات، بل هناك إجراءات تتخذ لتنظيم مدارس البنات. وعندما يطلب من المرأة الالتزام باللباس الإسلامي، وعدم الاختلاط بالرجال فلا يعتبر ذلك نيلاً من حقوقها. وعقيدة الناس في أفغانستان يجب أن تحترم. ونفي إحسان الله إحسان أحد القياديين البارزين في الطالبان منع تعليم المرأة، وقال: معاذ الله أن نمنع تعليم البنات، وهو واجب على كل مسلم ومسلمة. والأمور كلها مرتبطة ومتعلقة بتنظيم الأمور واتخاذ الإجراءات اللازمة بهذا الخصوص.

الجهاد الأفغاني في ذمة التاريخ:

في أيام معدودة، بل في ساعات معدودة ومحدودة هددت التطورات في أفغانستان بطي صفحة مشرقة من التاريخ الأفغاني الإسلامي المشرق، وإيداع ملف الجهاد الأفغاني الذي آثار المشاعر والأحاسيس في ذمة التاريخ، وتحويله إلى الأرشيف، من دون أن يتسنى لقادة الجهاد والمجاهدين أن يهنؤوا بمذاق النصر، ثم بمذاق الحكم، أو يقطفوا ثمار جهادهم البطولي الرائع الذي استمر ١٧ عاماً، وهم يحصدون الانتصارات وراء الانتصارات في كل الساحات القتالية والسياسية في أفغانستان.

يقول المراقبون إن دخول "الطالبان" إلى كابل لإجهاض تجربة حكم المجاهدين قبل أن تتبلور، أو يتفق المجاهدون على بلورتها، لا يمكن أن يتم إلا في ظل ضوء أخضر دولي وإقليمي، ودعم باكستاني، ورغم موقف إيراني. وأسباب

ذلك كثيرة وطويلة ومعقدة، يطول شرحها وتوضيحها، تتداخل فيها خطوط حمراء وأخرى خضراء، وثالثة بيضاء، ورابعة صفراء، نظراً للاعتبارات المحلية والإقليمية والدولية.

ومن الثابت أن المراقبين للقضية الأفغانية، والمحللين السياسيين قد أيقنوا منذ انطلاق حركة "الطالبان" الطلابية من معاقلها في كندهار في جنوب أفغانستان أنها ترجمة عملية للتحالفات الحزبية على الساحة الأفغانية، والتخلص من المجاهدين وأحزابهم، بعد ما أدوا دورهم في الجهاد، وفي طرد الروس من البلاد، وفي الإطاحة بالنظام الشيوعي، وفي التعارك على السلطة. وللولايات المتحدة الأمريكية وباكستان نصيب الأسد في كل ذلك.

وكان الاقتتال والتناحر بين التنظيمات الجهادية مؤشراً إضافياً خطيراً آخر إلى بدء مرحلة العد العكسي والتنازلي بالنسبة إلى التحالف الإسلامي الذي استقطب متطوعين من سائر أنحاء العالم الإسلامي لإلحاق الهزيمة المنكرة بالقوة العظمى الثانية في العالم تمهيداً لإذابتها، وتفكيكها، وإنقاذ الجمهوريات الإسلامية من براثنها، لتعيش كبقية الدول حرة مستقلة، بعيداً عن الروس وترويسهم.

وبدخول "الطالبان" إلى كابل تتغير معالم كثيرة وعديدة في الخريطة الإسلامية، ويغدو المجاهدون - بعد ساعات أو أيام أو شهور - زعماء في التاريخ الإسلامي والأفغاني، والغرب يعد العدة لوضع التجربة الإسلامية الجديدة المتشددة لطالبان في أفغانستان تحت المجهر. رحم الله الجهاد والمجاهدين، وزعماءهم حكمتيار ورباني وسياف وغيرهم، الذين أثبتوا أنهم ليسوا على مستوى المسئولية.

مأساة الأفغان بين الأحزاب الأفغانية:

بعد أن تلقت المليشيات الحزبية وعلى رأسها مليشيات مسعود لطمة قوية في أفغانستان، كان من الواجب على زعمائها بعد هذه الهزيمة القاسية أن يعترفوا بالواقع، وأن يجنبوا الأفغان من المعاناة التي يتعرضون لها في حياتهم اليومية. ومن المعروف أن المليشيات الأزبكية بقيادة دوستم، والتاجكية بقيادة مسعود، والشيعية بقيادة إيران قد فشلت في محاولاتها للعودة إلى كابل في هجماتها وحملاتها المتكررة في الكر والفر، وخرجت منها جماعة "الطالبان" أكثر قوة وتصميماً على إقرار الأمن في البلاد، وطرد المليشيات المناوئة لها إلى بلاد الجوار التي تمولها، وتدعمها للقيام بالعمليات الانتقامية ضد هذا التنظيم الذي يسيطر الآن على ثلاثة أرباع البلاد يفرض فيها نمطاً إسلامياً خاصاً فشلت في تنفيذه المليشيات الحزبية مدة وجودها في كابل بقيادة الشيخ رباني الذي جاء إلى الحكم من خلال انتمائه إلى هذا النمط الإسلامي، الذي كان يدعو إلى تنفيذه في البلاد.

وكان الانطباع السائد أن الأستاذ رباني وأنصاره الأستاذ سياف وأحمد شاه مسعود وغيرهم سيتركون مجال العمل الذي فشلوا فيه للقادم الجديد الذي وفق في القيام به، إلا أن الإيرانيين ومن ورائهم الروس والهنود والإخوة الأزابكة والأتاجكة والأتراك في كل من أوزبكستان وتاجكستان وتركيا العنصرية، قد أغروه، فتمادى في سياسته القائمة على آمال العودة، وأنه يمكن بعمليات الكر والفر التي يقوم بها وزير دفاعه مسعود على مراكز مقاتلي الطالبان الذين دحروا المليشيات الحزبية التي هام أفرادها على وجوههم في الجبال حول كابل، وتمكن معظمهم من الفرار نحو الشمال، بعد أن تركوا وراءهم معدات عسكرية وقعت في أيدي قوات "الطالبان"

التي زحفت على كابل، واستولت عليها، وطردت منها حكومة الشيخ رباني ومساعديه وأركان حكومته.

تحالف الأستاذ رباني مع الشيوعي السابق دوستم، والشيعة، ونسي ما فعل هؤلاء من الشيوعيين والشيعة بالأفغان المسلمين من أهل السنة، حيث تعرض الآلاف منهم لهجمات مدفعيتهم، وغارات طائراتهم الحربية، ولعمليات دق المسامير في أدمغتهم وهم أحياء. ومن المعروف أن المليشيات الشيوعية الأوزبكية من صنع الروس، والشيعية من صنع إيران، وتتلقى المساعدات في الوقت الراهن من الدول العديدة على رأسها روسيا وتركيا وأوزبكستان وإيران والهند. وبسبب هذه المساعدات الروسية الإيرانية الهندية تكبدت قوات "الطالبان" كثيراً من النكسات العسكرية راح ضحيتها عديد من خيرة شبابها، ووقع عديد منهم أسرى، وقتلوا في مذابح جماعية في السجون والمعتقلات، وبالإلقاء في الآبار أحياء دون رحمة. وبالإضافة إلى ذلك فقد شهدت أفغانستان في المدة الأخيرة مواجهات عنيفة بين الطرفين، سقط خلالها عدد كبير من الجانبين بين قتيل وجريح. وقد جرت محاولات لاحتواء الشيخ رباني وخلفائه، وفك ارتباطه بالشيوعيين السابقين والشيعة، وإقناعه بالتخلي عن أفكاره الرامية إلى إلحاق مزيد من المعاناة بالشعب الأفغاني بمختلف طوائفه، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل. فهل يغير الزعيم الإسلامي رباني أستاذ الشريعة الإسلامية سياسته، ويلغي تحالفاته مع الشيوعية والشيعة ويعود إلى وعيه الإسلامي؟

إن رحا الحرب التي تدور في أفغانستان، والقتال القاسي الذي يتقلب بين المجاهدين منذ الإطاحة بحكومة نجيب الله الموالي للروس، أزهق حتى ظهور حركة

الطالبان في أواخر عام ١٩٩٣م أرواح ٣٥ ألفاً من المدنيين الأفغان الأبرياء، ما بين طفل وامرأة وشيخ، وشرد مئات الآلاف، وأحال العاصمة الأفغانية كابل إلى خراب ودمار وأشلاء، كما تقول جريدة الأهرام المصرية تحت عنوان "مسرحية هزلية يخرجها الكبار" في ٢٧ ديسمبر ١٩٩٦م. ومسئولية كل ذلك تقع على عاتق التنظيمات الجهادية وبخاصة الجمعية الإسلامية، والحزب الإسلامي، والطوائف الشيعية، والشيوعيين الأزابكة في الشمال في مدينة "مزار".

معسكرات استقطاب الفصائل:

أما بعد ظهور حركة الطالبان على الساحة الأفغانية، واستيلائها على السلطة، فهناك معسكران يغذيان الصراع الدائر في أفغانستان. ويستقطبان الفصائل الأفغانية، ويلعبان بمصير البلاد والعباد، ويخلقان الأحقاد والضغائن، الأول يتمثل في باكستان، ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية، وهو يقف خلف الطالبان وتؤيدهم بقوة. والثاني يتمثل في إيران، ومن ورائها روسيا والهند وتركيا، وغيرها من دول الجوار، ويقف خلف تحالف رباني - حكمتيار - دوستم، ويعمل ضد حركة الطالبان. تقوم إيران بذلك خوفاً من قيام دولة سنية متشددة كدولة الطالبان الأفغانية، على حدودها الشرقية، إضافة إلى تخوفها على ما تسميها بالطائفة الشيعية في أفغانستان ومشاكلها. وتعمل روسيا ذلك لأسباب سياسية واقتصادية وأمنية معروفة، وللعداوة التقليدية بين المسلمين والروس، أما الهند فتعمل ذلك لمواجهة التوغل الباكستاني في أفغانستان في إطار التنافس الإقليمي بين إسلام آباد ودهلي، وتقوم تركيا العنصرية العلمانية لتأييد عنصرية الأزبكي دوستم الذي يشتهر بالمراوغة التي هي هوايته المفضلة في التلاعب بعقول بعض السياسيين

الأفغان. وهكذا يزيد الشعب الأفغاني معاناة وتشـريداً وقتـلاً، في مسـرحية هزليـة تلعبها القوى الإقليمية والدولية فوق الأرض الأفغانيـة، نتيجـة لتلاعـب التنظيمـات الأفغانية المتصارعة بالمصير الأفغاني.

مصالح باكستان:

١- قد أثير كثير من الأقاويل والتكهنات حول دعـم باكسـتان ومسـاندتها لتنظيم "الطالبان" قال ذلك غير واحد من المحللين والدبلوماسيين والمهتمين بالقضيـة الأفغانية، وهي أول دولة تعترف بالنظام الجديد في كـابل، وترحـب بطـرد الشـيخ رباني وحكومته منها، وذلك لأسباب اقتصادية وسياسية. فإسلام آباد ظلت طوال السنوات الماضية تأمل في فتح طريق الحرير التـاريخي المهـم الـذي يـؤدي إلى وسـط آسيا أمام قوافلها التجارية، وإنعاش اقتصادها الذي يعاني من الركـود، وقـد تحقـق لها ما أرادت، حيث مرت أول قافلة تجاريـة مـن الشـاحنات الكبـيرة تحـت رعايـة حراس الثورة الطلابية بسلام ووصلت حيث أرادت الوصول إليه.

٢- تمكنت باكستان من معاقبة حكومة الشيخ رباني التي جـاهرت بـالعداء السافر لباكستان الإسلامية، وأعلنت تأييدها الواضح الصريح للهند البوذية عدوتها التقليدية، واعتدت بالإضافة إلى ذلك على السفارة الباكستانية في كابل، وقد مات في علمية الاعتداء عليها أحد موظفيها، وأصيب السفير نفسه بجروح.

٣- باكستان تحاول جاهدة وبكل طاقتها السياسية القضاء علـى قضيـة مـن أهم القضايا التي تقلق بال ساستها منذ استقلالها عـام ١٩٤٧م وحتـى الآن، وهـي قضية قابلة للانفجار في كـل وقـت، وبخاصـة أثنـاء تـأزم العلاقـات بـين الدولتـين الأفغانية والباكستانية، وهي قضية بختونستان (بشتونستان)، الـتي هـي الآن كالنـار

تحت الرماد. والنظام الجديد في كابل لا يشير في بياناته إلى هذه القضية أو على الأقل لا يرغب إثارتها في الوقت الحاضر نظراً للأخوة الإسلامية أو للعلاقات الطيبة التي تربط بين النظامين الأفغاني الجديد والباكستاني القديم. ومعلوم أن الأقاليم التي تطلق عليها اسم "إقليم الحدود" وبلوخستان أراض أفغانية ضمها الإنجليز إلى مستعمراتها في الهند بالقوة، ومن ذلك التاريخ مفصولة عن الوطن الأم. وباكستان لا تنسى ما للأفغان من حب وتعلق بالوطن وترابه، بل بكل رملة من رماله الغالية. وهي تأمل إنهاء هذه القضية، والقضاء عليها نهائياً، وترغب بجدية في ألا يرفع في أفغانستان صوت، أو همس واحد باسترداد أرض بشتونستان التي اقتطعها الإنجليز من أفغانستان في القرن الماضي، وضموها إلى الهند، ثم ورثتها باكستان في عملية تقسيم الهند المستعمرة البريطانية إلى دولتين الهندية والباكستانية.

ونظراً لسياسة حكومة الأستاذ رباني العدائية نحو باكستان، وإصراره عليها، وتمسكه بكرسي الحكم رغم طرده منه، جعلت القوى الإقليمية المختلفة وعلى رأسها باكستان تتلاعب بمصير أفغانستان، وتعبث بها كيفما تشاء. والعجيب في الأمر أن المجتمع الدولي والأمم المتحدة بالذات تلتزم جانب اللامبالاة فيما يجري من الأحداث المؤلمة في أفغانستان، ولا تفعل شيئاً لإخراجها من أزمتها الراهنة حيث أصبحت ضحية للعبة القوى الإقليمية (باكستان، إيران، روسيا، الهند) التي جعلت منها ساحة لتصفية خلافاتها ونزاعاتها الإقليمية التي لا يحصد نتائجها المرة المدمرة سوى الأبرياء من أبناء أفغانستان الذين يستغيثون بالعالم لإنقاذ وطنهم من أباطرة الحرب الذين يرتعون في جنباته، ويثيرون فيه الفساد.

المصادر الرئيسية لهذا الفصل:

اعتمدت في كتابة هذا الفصل على المصادر الرئيسية التالية:

* الدكتورة ماجدة علي صالح: الصعود السياسي لطالبان، بحث قدمته إلى المؤتمر السنوي الثالث للدراسات الآسيوية، وموضوعه "القضية الأفغانية وانعكاساتها الإقليمية والعالمية" الذي عقده مركز الدراسات الآسيوية، بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، في ٢٤-٢٥ ديسمبر ١٩٩٧م.

* الدكتور صلاح عبد الرازق حليمة: محاولات تسوية الحرب الأفغانية "المشروعات الأفغانية" بحث قدمه إلى المؤتمر السابق الذكر.

* الأستاذ معتز محمد سلامة: انعكاسات الصراع داخل أفغانستان على دول الجوار (١٩٩٢-١٩٩٧م) بحث قدمه إلى المؤتمر المذكور سابقا.

* الدكتور حسن أبو طالب: الحرب الأهلية في أفغانستان بعد الانسحاب السوفيتي، بحث قدمه إلى المؤتمر المذكور آنفا.

* الدكتور عبد الله الأشعل: المحاولات الإسلامية لتسوية الحرب الأفغانية "الدول الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامي" بحث قدمه إلى المؤتمر السابق الذي مر ذكره.

* الأستاذ عماد جاد: مواقف القوى الكبرى من الأزمة الأفغانية، بحث قدمه إلى المؤتمر المتقدم الذكر.

* جريدة "الحياة" اليومية اللبنانية، أعداد مختلفة.

* جريدة "الشرق الأوسط" اليومية السعودية، أعداد مختلفة.

* جريدة "الأهرام" اليومية المصرية، أعداد مختلفة.

* صحيفة "المسلمون" الأسبوعية السعودية، أعداد مختلفة.

* إذاعة لندن باللغات الأفغانية والدرية والعربية.

* إذاعة صوت أمريكا باللغات الأفغانية والدرية والعربية.

* * * * * * * * * * * *

* * * * * * * * * *

* * * * * * * *

* * * * * * *

* * * * *

* * *

*